رؤى مُغايرة

يصدرها مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان - العدد الأول - فبراير ٩٧

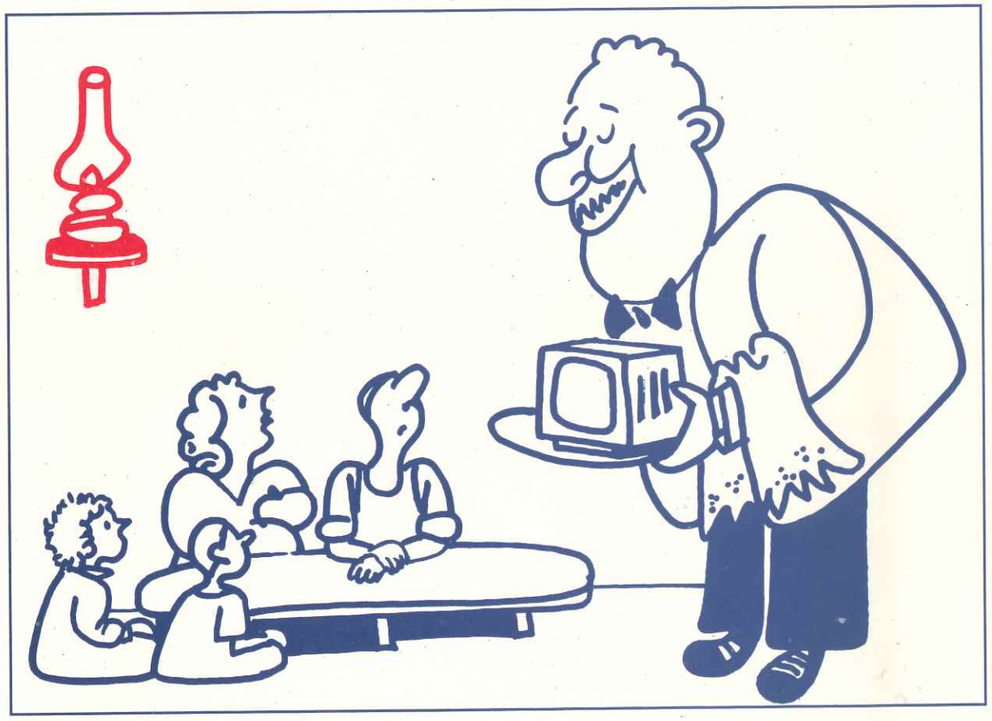

- بنية السلطة فى وسائل الإعلام الأمريكية.
- الإسلام السياسى والتليفزيون المصرى.
- المال والإعلام والإجماع السياسى.

مركز القاهرة
لدراسات حقوق الإنسان

* هيئة علمية وبحثية وفكرية تستهدف تعزيز حقوق الإنسان فى العالم العربى.. ويلتزم المركز فى ذلك بكافة العهود والإعلانات العالمية لحقوق الإنسان. ويسعى لتحقيق هذا الهدف عن طريق الأنشطة والأعمال البحثية والعلمية والفكرية بما فى ذلك البحوث التجريبية والأنشطة العلمية.
* يتبنى المركز لهذا الغرض برامجاً علمية وتعليمية، تشمل القيام بالبحوث النظرية والتطبيقية، وعقد المؤتمرات والندوات والمنارات والحلقات الدراسية. ويقدم خدماته للدارسين فى مجال حقوق الإنسان..
* لا ينخرط المركز فى أية أنشطة سياسية ولا ينضم لأية هيئة سياسية عربية أو دولية تؤثر على نزاهة أنشطته، ويتعاون مع الجميع من هذا المنطلق.

٩ شارع رستم - جاردن سيتى - القاهرة
الرقم البريدى ١١٤٦١ ص.ب ١١٧ مجلس الشعب
تليفون : ٣٥٤٣٧١٥ - فاكس : ٣٥٥٤٢٠٠

مجلس الأمناء

إبراهيم عوض (مصر)
أحمد عثمانى (تونس)
أسمى خضر (الأردن)
السيد ياسين (مصر)
آمال عبد الهادى (مصر)
سحر حافظ (مصر)
عبد الله النعيم (السودان)
عبد المنعم سعيد (مصر)
عزيز أبو حمد (السعودية)
غانم النجار (الكويت)
فاتح عزام (فلسطين)
فيوليت داغر (لبنان)
محمد أمين الميدانى (سوريا)
هيثم مناع (سوريا)

مستشار البحوث
محمد السيد سعيد
مدير المركز
بهى الدين حسن

الآراء الواردة فى هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

هذا العدد

تقديم : لماذا رؤى مغايرة أو مختارات عربية من ميريب ص ٢

تقديم لرؤى مغايرة : جودى بارسلو ص ٤

بنية السلطة فى وسائل الإعلام الأمريكية
چو ستورك
لورا فلاندرز ص ٦

الإسلام السياسى والتليفزيون المصرى : ليلى أبو لغد ص ١٤

السياسة والإعلام فى العالم العربى
"حوار مع صحفى عربى".... ص ٢٦

المال والإعلام والإجماع السياسى : جويل بنيين ص ٣٠

من يملك الأخبار؟
سالى إثيلستون
مارتا وينجر.. ص ٣٩

رؤى مغايرة

مختارات مترجمة من مجلة "MERIP" التى تصدر عن مشروع الشرق الأوسط للبحوث والمعلومات :
Middle East Research and Information Project.

رئيس تحرير "MERIP" :
چودى بارسلو
رئيس التحرير المؤسس
چو ستورك
المسئول عن المطبوعة العربية
د. محمد السيد سعيد
تصدر عن :
مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان
ترجم هذا العدد
عبد السلام رضوان
الإخراج الفنى
أحمد عز العرب

نشرت مقالات هذا العدد
فى : MERIP
January / February 1993
No. 180 Vol. 23

رقم الإيداع : ٩٧/٣٦٨٦

تقديم

لماذا رؤى مغايرة؟
أو مختارات عربية من «ميريب»

يسعد مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان أن يقدم هذه الدورية الجديدة. ويأمل أن تحتل مكانها بين إصدارات المركز الأخرى والتى تستهدف تعميق الوعى بقضايا حقوق الإنسان فى الوطن العربى وفى الإطار الجغرافى الواسع المعروف بإسم الشرق الأوسط.

و"رؤى مغايرة" هو الإسم الذى اخترناه بالـلغة العربيـة لمختارات من مجلة ميريب (Merip) التى تصـدر عن مشـروع الشرق الأوسط للبحوث وآلمعلومات "Middle East Research and information Project"*.

ويجد القارئ تعريفـاً موجزاً بهذا المشروع وبالمجلة التى تصدر عـنه فى إطار التقديم الذى كتبته السـيدة / جودي بارسلو المديرة التنفيذية لهذا المشروع لسلسلة المختارات المترجمة إلى اللغة العربية عن هذه المجلة.

ومن المنطقى أن يتـساءل القارئ لماذا اختيـار هذه المجلة بالذات لترجمـة مختارات منها إلـى اللغة العربية وإصـدارها فى مطبوع مستقل.

هناك بالطـبع عدة أسباب وراء قـرار المركز بالقيـام بهذا المشروع أو الإصـدار. وعلى رأس هذه الأسباب اهـتمام مركـز القاهرة لحقوق الإنسان ببدء التحرك لبناء تحالف عالمى للسلام العادل والديمقراطية فى الوطن العربى والشرق الأوسط.

ومن الطبيعى أن تكون الحركة العالمية لحقوق الإنسان أحد أبرز مكونات هذا التحالف. كما أن من الطبيعى أيضاً أن يقع الاختيار كبداية على قطاع من المثقفين الـتقدميين فى الولايات المتحدة الذين يتابعون شئون العرب والشـرق الأوسط بصفة يومية، ومن خلال منظـور إنسانى وتقـدمى ومتـعاطف مع حـقوق الشـعوب العربـية. وتمثل المجـموعة الـتى تحيط بمـجلة مشـروع "ميريب" أحـد أبرز المجموعات فى هذا القطاع.

أما السبب الثانى فهو أن قضية الديمقراطية والسلام العادل والشامـل على أساس الاعتراف بالحقوق السياسية والتاريخية للشعب الفلسطينى هى أبرز قضايا مجلة «ميريب» والمجلة تثير هذه القضايا بصورة نقدية، ولكنها مشحونة بالتعاطف مع الشعوب عامة. وقد

* مشروع الشرق الأوسط للبحوث والمعلومات هو مؤسسة بحثية قائمة وليس مجرد عمل أو برنامج محدد ينتهى بعد إنجاز هدف أو أهداف مؤقتة.

وجدنا المناسب تعريف القارئ المصرى والـعربى بالمنظـور المميـز الذى تصـدر عنه مسـاهمات الكتاب الـغربيين المنتسـبين لميريب أو للمدرسة التقدمية فى الكتابة الإعلامية والياسية، بوجه عام.

وتعد القضية والآلـية الإعلامية من أبرز مساهمات مجلة "مـيريب" على الإطلاق. فالنقد التقدمى للإعـلام الأمريكى وما يمارسه من تضليل وهيمنة ثقـافية وسياسية ودعائية هو واحد من المنطلقـات الأساسية لميريب. فقد حاولت المجلة أن تقدم إعـلاماً متخصصاً وعادلاً حول القضايا العربية، كما حاولت تعليم القارئ الغربى "أسلوباً جديداً فى قراءة الواقع العربى والحياة السياسية والاجتماعية لبلاد الشرق الأوسط"، وذلك على خلاف السطحية والابتذال والتحيز الـذى ميز الإعلام الغربى والأمريكى بالذات فيما يتصل بهذه المنطقة.

ويعد هذا الاهتمام بالإعلام والثقافة ثالث الأسباب التى تدعونا لـترجمة مختارات معينة من "ميريب"، لأن الإعلام الحديث صار أكثر الآليات فعالية (أو سطوة) فى التواصل عبر الحدود القومية.

وأخيراً وليس آخراً، فإن اهتمـام مجلة ميريب بقضايا المرأة والطفولة والأقليات والمضطـهدين بشكل عام، وضرورة تمكين هؤلاء جميعاً من التمتع بالحقوق الأساسية للإنسان يشكلان أقوى الروابط مع هذه المجلة. وفى هذا الإطار، تصدر «رؤى مغايرة» كمحاولة من جانب مركز القاهرة للتعـريف برؤى وأفكار بعض القوى التقدمية فى الغرب حول القضايا الـتى تشغل العرب وشعوب الشرق الأوسط. ونأمل أن يتفاعل هذا القارئ معها سلباً وإيجاباً.

هذا ولا يفوتنا أن نتـوجه بجزيل الشكر والإمتنان إلى الأستـاذ / سهيل شدود الذى قام بجهد كـبير فى مراجعة الترجـمة العربية للمجلة والمساهمة فى تحريرها.

د. محمد السيد سعيد

مستشار البحوث

مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان

تقديم لـ..

رؤى مغايرة

جودى بارسلو

المديرة التنفيذية والمحررة المسئولة لميريب

تأسس "مشروع الشرق الأوسط للبحوث والمعلومات" (MERIP) ميريب، ومقره واشنطن العاصمة، منذ خمسة وعشرين عاماً. وقد تبلورت فكرة إنشاء مشروع "ميريب" خلال لقاء عُقد فى عطلة نهاية الأسبوع داخل كوخ فى غابات نيو هامبشاير. وتمثل التصور الأساسى للمشروع في توفير المعلومات والتحليلات حول الشرق الأوسط التى يمكن أن يستزيد منها الإعلام اليسارى أو "البديل". وفى مايو عام ١٩٧١ ظهر العدد الأول من "تقارير ميريب" فى إصدار من ست صفحات منسوخة على الآلة الكاتبة يتضمن ثلاث مقالات موجزة (حول تخلص السادات من مجموعة اليساريين داخل النظام المصرى الحاكم، وحول استراتيجية إسرائيل التفاوضية).

وخلال عامى ١٩٧١ و١٩٧٢ صدر "التقرير" بصورة غير دورية، ومنذ عام ١٩٧٣ التزمت المجموعة بإصداره بصورة دورية منتظمة. ومنذ ذلك الحين، لم تكف "ميريب" عن التقدم ولم يعد هناك شخص مهتم بشئون الشرق الأوسط سواء كان متخصصاً أو غير متخصص يمكنه تجاهل مجلة "تقرير الشرق الأوسط"، وذلك على حد قول الصحفى الفرنسى الشهير إيريك رولو، ويقول البروفيسور رشيد خالدى، الأكاديمى الأمريكى البارز: "تقرير الشرق الأوسط هو أفضل دورية حول الشرق الأوسط على الإطلاق".

و"مشروع الشرق الأوسط للبحوث والمعلومات" - ميريب- منظمة غير حكومية، لا تهدف إلي تحقيق أرباح،

ولاتقبل التمويل من الشركات أو من حكومة الولايات المتحدة. وكمنظمة مستقلة، لاترتبط "ميريب" بأى منظمات دينية أو سياسية، وجهدها مُكرَّس لتوفير الأخبار ووجهات النظر حول الشرق الأوسط غير المُتاحة من مصادر الأخبار السائدة. وقد عُرفت المجلة على نطاق واسع بتحليلها النقدى المستقل لمواقف كل الأطراف الفاعلة في الشرق الأوسط. ومستوى توزيع مجلة "تقرير الشرق الأوسط"- المشهود لها من الجميع بأنها مجلة التحليل الأولى لشئون الشرق الأوسط- والذى بلغ ٤٠٠٠ نسخة وبمعدل قرائها على المستوى الدولى يصل إلى ٢٥٠٠٠ قارئ، يضعها الآن فى صدارة المطبوعات المنشورة حول الشرق الأوسط من حيث الإنتشار. وبهذا أصبحت مصدر معلومات بالغ التأثير بالنسبة للإعلام المُذاع والمطبوع فى الولايات المتحدة، وأوربا ومنطقة الشرق الأوسط.

ويركز كل عدد من أعداد "تقرير الشرق الأوسط" إهتمامه على موضوعات محددة، مثل جهود التحول إلى الديمقراطية، أو قضايا العلاقة بين الجنسين، أو الإسلام السياسى، أو التدخل الخارجى. وتتضمن هذه الدورية الفصلية، بصفحاتها الثماني والأربعين، مقالات للكتاب نادراً ماتُنشر فى الغرب، ومقابلات مع أصوات صاعدة من المنطقة. وتغطى المجلة القضايا الأكثر إلحاحاً وخلافية، كالنفوذ المتنامى للحركات الإسلامية، وحرب الخليج وماأعقبها، والصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وغير ذلك كثير. وتشكل تقاريرنا مصدراً أساسياً للمتخصصين، لكنها مُتاحة أيضاً للجمهور العام. ويتضمن العديد من أعداد المجلة "دراسات تأسيسية" توفر خلفية أساسية حول موضوع ما أو بلد ما.

كذلك قدمت "ميريب" - المشروع وليس المجلة - على مدى الأعوام الخمسة والعشرين الماضية، كماً هائلاً من المواد التعليمية بالإضافة إلى إصدارها للمجلة. فالسلسلة المتكاملة من الكتب والكتيبات الصادرة عن "ميريب" حول حقوق المرأة وحقوق الإنسان فى الشرق الأوسط تقدم نظرات شاملة موجزة حول هذه القضايا الحيوية. وخلال حرب الخليج، وزعت "ميريب" آلاف الكتيبات الأولية، حول العلاقات العسكرية الأمريكية السعودية وحول تاريخ الصراع العراقى الكويتى، على المنظمات الدينية ومنظمات حقوق الإنسان، وعلى المدارس الثانوية والكليات الجامعية. كذلك نشرت "ميريب" العديد من الكتب، من بينها كتابان حول الصراع الإسرائيلى الفلسطينى وكتاب تحت الطبع حول الإسلام السياسى. وتستجيب "ميريب" بإستمرار للرسائل التى تطلب معلومات والتى تصل إليها من الطلاب، والكنائس، والمنظمين الإجتماعيين، ومسئولى المكتبات، والصحفيين، والباحثين والمدرسين، ومحللى شئون المال والأعمال والإستشاريين. وفى كل عام، يطلب أساتذة الجامعات مئات من أعد اد "تقرير الشرق الأوسط" ليختاروا منها قراءات لطلابهم.

ويسر "ميريب" أن تقدم مجموعة من مقالات "تقرير الشرق الأوسط" فى ترجمة عربية يصدرها مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان. ونأمل أن تتعزز، من خلال هذا المشروع المشترك، أواصر التبادل الفكرى بين الشرق الأوسط والغرب حول المسائل ذات الأهمية والإهتمام المشترك.

بنية السلطة فى وسائل الإعلام الأمريكية

اسطورة الخصام بين الدولة ووسائل الإعلام

چوستورك

لورا فلاندرز*

فى ردهة فندق المنصور ببغداد، وكان قد مر عام على بدء الحرب التى قادتها الولايات المتحدة ضد بلادهم، كانت مجموعة من الطلبة العراقيين تتجول وسط الزوار عارضة للبيع هدايا تذكارية متنوعة. وبعد أن عرض أحد الطلبة على وفد نسائى من منظمة "مادر" - MADRE - الأمريكية أن يترجم لأعضاء الوفد مقالاً نشرته إحدى الصحف المحلية، أخذ الطالب يترجم بحماس عدداً محدوداً من الجُمل من موضوع منشور على عمودين حول توزيع منظمة "مادر" كمية من الألبان والأغذية على المستشفيات المحلية. وعندما طلب أعضاء الوفد شرحاً مختصراً لبقية ما ورد فى المقال، قال الطالب ببساطة : "لاشئ سوى بروباجندا الحكومة".

فى الولايات المتحدة ليس من السهل دائماً أن تكون متأكداً لهذه الدرجة. أما فى العراق، والدول الجديدة الأخرى، فإن بنية السلطة فى وسائل الإعلام الوطنية واضحة تماماً : فهي متطابقة إلى حد بعيد مع الدول نفسها فى ظل إشراف وزارات الإعلام. وفى العديد من البلدان تمتلك الحكومة وسائل الإعلام الإلكترونية - التليفزيون والإذاعة - حتى لو كانت لا تمارس إشرافاً مباشراً عليها، فى حين تكون وسائل الإعلام المطبوعة مملوكة عادة ملكية خاصة. وتنفرد الولايات المتحدة فى هذا الصدد بأن كل وسائل الإعلام فيها، الإلكترونية منها والمطبوعة، مملوكة ملكية خاصة، ويندر وجود رقابة صريحة من الحكومة على أى منها.

لقد ظهرت وسائل الإعلام مع نمو الأيديولوچيات الحديثة وتنظيم المجتمعات على المستوى الكونى فى صورة "الدول القومية". وجنباً إلى جنب مع بقية عناصر البنية التحتية لوسائل النقل والمدارس، لعبت وسائل الإعلام دوراً فى تكوين هذه الدول القومية، عاكسة مصالح وتوجيهات الجماعات المسيطرة. ومثلت وسائل الإعلام، كما يوضح إريك هوبسون، وسيلة مهمة لجعل الرموز الوطنية جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، و"تفكيك الفواصل بين المجال القومى العام والمجالات الخاصة والمحلية

* چو ستورك : رئيس التحرير السابق للـ : Middle East Report وهو الآن رئيس الدفاع للـ: Human Rights Watch الشرق الأوسط

* لورا فلاندرز : منسق (لجنة النساء والعدالة) جمعية مراقبة الإعلام القومى بنيويورك.

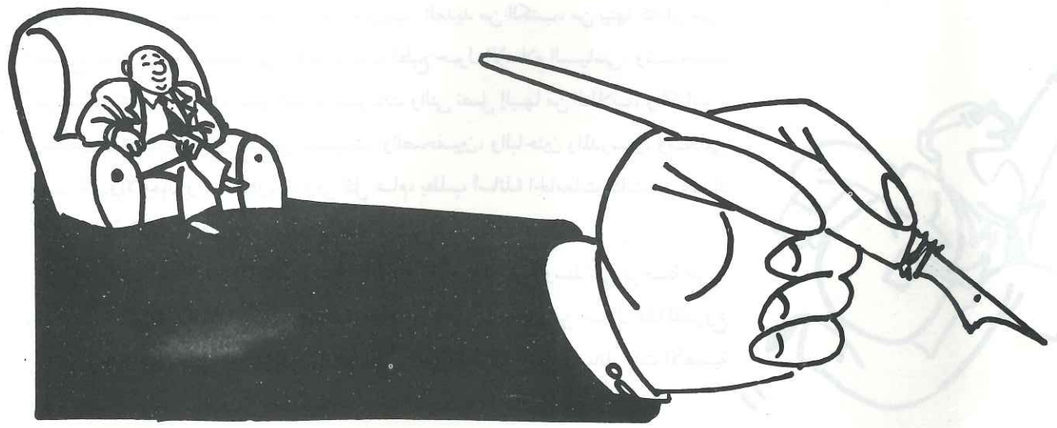

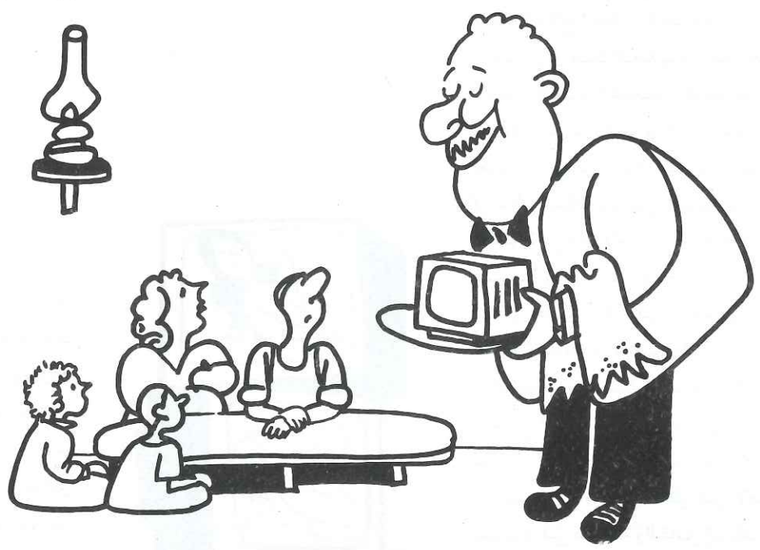

من الذى يحدد لنا ما نسمع.. وما نقرأ ؟

التى يمارس أغلب المواطنين حياتهم فى إطارها عادة"(١). وفى بعض الحالات تمثل وسائل الإعلام أداة للبروباجندا والدعاية المكشوفة. وفى كل حالة من تلك الحالات، تمارس وسائل الإعلام دورها كخادمة للسلطة، وترتبط بنية السلطة داخلها بمواقع السلطة فى المجتمع ككل. إن وسائل الإعلام، المتخصصة أساساً فى "الإظهار"، تُصبح هى نفسها إحدى البنى الخفية للسلطة الأقل ظهوراً فى المجتمع الحديث.

وسائل الإعلام بحكم طبيعتها ذاتها، تنتقى وتأول. يقول أغلب الأمريكين إنهم يحصلون على أخبارهم من نشرات أخبار التليفزيون، أو كما يقول الناقد جيرى ماندر : كل ليلة يتكلم ثلاثة رجال وينصت خمسون مليوناً(٢) وتماماً كما هو الحال فى العالم الفيزيائى حيث يُغير الوسيط المتمثل فى "الجو" أو فى مادة موصلة مظهر الضوء أو أى ظاهرة أخرى تمر خلاله، كذلك تفعل وسائل الإعلام على إختلافها حيث "تكسر"، وتشوه وتُغير المعلومات التى تمر خلالها كأخبار.

إقتصاديات السلطة الإعلامية

تمثل الدولة فى المجتمعات الحديثة إحدى الركائز الرئيسية للسلطة. وفى مجتمع رأسمالى متطور مثل الولايات المتحدة، تتمثل الركيزة الأساسية الثانية للسلطة فى النشاط الاقتصادى، من هذا يصبح الإعلام مشروعاً اقتصادياً فى المقام الأول. وتتضح مدى ضخامة هذا المشروع الاقتصادى من حقيقة أن المجموعات الإعلامية الثلاث الكبرى - تيم وارنر، جانيت داو جونز، مؤسسة النيويورك تايمز - تحتل موقعاً ثابتاً فى المرتبة فوق الوسطى من قائمة أكبر خمسمائة شركة فى العالم. وكانت النسبة الشائعة لهوامش الربح لشركات الإعلام خلال الثمانينات تتراوح بين ٢٠٪ و٣٠٪، وهو ما يعد إحدى نسب الربح الأعلى فى قطاع الشركات بأسره(٣) ولم يكن مستغرباً أن يقول واين بوفيت، أحد كبار مُلاك شبكة "إيه.بى.سى" وأحد المساهمين فى شركة "الواشنطن بوست"، "إن شركات الإعلام تُمثل حتى فى ظل الركود الاقتصادى الراهن "معجزات اقتصادية" إذا ما قورنت بالصناعة الأمريكية بوجه عام(٤).

وتمتلك أغلى المجموعات الإعلامية حصصاً وأسهماً فى كل من القطاع الطباعى والإذاعى. وقد وجد بن باديكيان، عام ١٩٨٢، أن خمسين شركة تسيطر على ما يزيد على نصف اقتصاديات الحقل الإعلامى. وبحلول عام ١٩٩٠، تقلص هذا الرقم إلى ٢٣ شركة. ولم يفقد النشاط التجارى فى الحقل الإذاعى، والذى بدأ عام ١٩١٩، كاتحاد من منتجى القطاع الخاص، طابعه التأسيسى المميز، ففى عام ١٩١٩، كانت "شركة راديو أمريكا" (RCA) "شركة قابضة" تقاسمت فى ظلها كل من "جنرال إلكتريك" و"وستنجهاوس"، و"إيه.تى.آند.تى" و"يونيتد فرويت" السوق الاذاعى وأسمت شبكتها "الشركة القومية للبث الإذاعى". ثم ظهرت شبكة "سى.بى.إس" عام ١٩٢٧، و"إيه.بى.سى" عام ١٩٢٧ ويجدر التنويه هنا إلى أن الصورة الأسطورية "للناشر / المالك" بوصفه أحد ملوك المال - ويليام راندولف هيرست / المواطن كين* فى عزبته الفخمة، وروبرت ماكسويل

* (المواطن كين) هو فيلم أمريكى شهير جداً أنتج فى الأربعينات ويتحدث عن شخصية - كين - وهى شخصية شبيهة - أو فيها تطابقات كثيرة حسب آراء الكثيرين - بالسيد وليام راندولف هيرس وهو رجل أعمال واسع النفوذ ومالك قطاع إعلامى كبير فى تلك الفترة. ورث الثروة والجاه والنفوذ عن والده وسيطر وطى وكان مثالاً للسلطة وللقدرة على منع أو تسويق المواد الإعلامية - صحافة وأفلاماً وما شابه.. يذكر أن "أورسن ويلز" كاتب ومثل ومخرج الفيلم نجح فى تسويق فيلم - المواطن كين - بعد صراع طويل مع هيرتس وأعوانه، ولكنه لم ينجح فى تسويق أفلامه اللاحقة.. ويقول البعض : كان ذلك بسبب فضحه لشخصية هيرس الحقيقية من خلال شخصية كين - فى الفيلم - أعتقد أن الكاتب بالإنكليزية - يعيدنا إلى أجواء "هيرس" كرجل إعلام ورجل أعمال وطاغية واسع النفوذ وابتزازى من نوع خاص ليوصل لنا صورة ما وجدت فى الحقيقة وربما مازالت موجودة.

الإعلام مشروع إقتصادى يربح دائماً.. حتى فى حالات الركود

على متن يخته الضخم - ليست بعيدة الصلة بالموضوع. لقد قال تشارلز دانا أحد رؤساء التحرير الأمريكيين فى القرن التاسع عشر، ذات مرة : إن الصحافة مهنة تقوم على شراء ورق أبيض بسنتين للرطل وبيعه بعشر سنتات للرطل". وفى عام ١٩٩٠ كان أربعة على الأقل من المديرين الإعلاميين يتقاضون ما يزيد على مليون دولار كرواتب ومكافآت إضافية، بينما كان عدد أكبر من معاونيهم يحصلون على مبالغ لا تقل كثيراً. ولا يشمل ذلك الراحل ستيف روس، رئيس مجلس إدارة "تايم وارنر"، الذى حصل عام ١٩٩٠ على ٧٨ مليون دولار كرواتب وحقوق تصرف فى حصة من الأسهم - وهو ما يزيد بمقدار ٤٨ مليون دولار عن إجمالى رواتب مستخدمى "تايم" الستمائة الذين قام بتسريحهم عام ١٩٩١(٧).

إن هناك أسطورة متناقضة حول وسائل الإعلام بوصفها صاحبة علاقة خصامية مع السلطة والدولة. وربما رجعت أصول تلك الأسطورة الى الصحف المنشورة فى صورة بيانات ونشرات معلومات فى القرن الثامن عشر والتى كان يصدرها راديكاليون من أمثال توماس بين ووليم كوبيت. ولقد كانت الولايات المتحدة رائدة فى مجال الصحافة اليومية الرخيصة الثمن (ظهرت أول صحيفة يومية تباع بسنت واحد فى نيويورك عام ١٨٣٣). وما جعل

الانتقال من الكراسة الى الجريدة ممكناً هو "الإعلان"، والذى زاد من تعزيز إرتباط وسائل الإعلام بمصالح الطبقات التجارية والمالية، وعلى الرغم من أن هناك العديد من الصحفيين ورؤساء التحرير الشجعان الذين يغامرون بحياتهم ومورد رزقهم فى أنحاء مختلفة من العالم، فإن وسائل الإعلام كمؤسسة تظل دائماً أقرب الى السلطة منها إلى الحقيقة. ويعاد بعث الأسطورة من حين لآخر من خلال أحداث مثل "فضيحة ووتر جيت"، ونحيب سياسيين من أمثال جورج بوش (فى شكوى "وسائل الإعلام") عندما يبدأ منحنى مشوارهم السياسى فى الانحدار. ولقد بُنيت استنتاجات كثيرة على استطلاع أُجرى مؤخراً يشير إلى أن أغلبية الصحفيين يعتبرون أنفسهم "ديموقراطيين" لا "جمهوريين". وبغض النظر عن الافتراض المشكوك فى صحته والقائل إن ذلك يضع الصحفيين فى جانب اليسار سياسياً، تبقى حقيقة أنه لم يجر مثل هذا الاستطلاع بالنسبة للمُلاك والناشرين أو مجالس الإدارة - وكأنما ذلك شئ خارج الموضوع أو ربما غير متسم بالاحترام.

الأبعاد السياسية لسلطة الإعلام

تتمثل الوظيفة السياسية الأساسية لوسائل الإعلام، على المستوى الأيديولوچى، فى نشر ما يسميه أنتونى جيدنز بالمبادئ العامة "التى تنجح الجماعات المسيطرة من خلالها فى تثبيت سلطتها عن طريق اقناع الآخرين بمشروعية حكمها"(٨) وينطوى ذلك، فى أغلب الحالات على موقف مراعٍ لرغبات السلطة. ومن بين تلك "المبادئ العامة" المبدأ المرتبط بسجل الأحداث فى الشرق الأوسط والمتمثل فى مفهوم "عملية السلام". فالافتراض القائل إن واشنطن ملتزمة بحل تفاوضى للصراع العربى الاسرائيلى - الفلسطينى نادراً ما تطابق مع السجل الفعلى للسلوك الأمريكى تجاه هذا الصراع.

وبرغم الانفصال الرسمى القائم بين وسائل الاعلام والدولة فى الولايات المتحدة، فإن الإعلام هنا يمد الناس بالأخبار عادة من منظور

الحكومة. وعندما يتعلق الأمر بالمسائل الخارجية، فإن وسائل الإعلام لاتقدم ما يحدث وما يجر فى العالم بقدر ما تقدم ما يقول البيت الأبيض إنه يحدث فى العالم. صحيح أن الدولة لا تمارس إشرافاً على وسائل الإعلام بأى طريقة فجة أو مباشرة، لكن الحكومة - أكثر من أى طرف آخر - هى التى تحدد البرنامج والنغمة : كيف يُقدَّم موضوع ما أو تُناقش قضية ما، أو ما إذا كانت تتم المناقشة أو التقديم أصلاً. فمع كل ذلك الاهتمام الذى وجَّه لاستطلاعات الرأى فى الحملات الانتخابية الرئاسية وفى حرب الخليج، على سبيل المثال، من الذى يتخيل أن أربع سنوات من التغطية لأحداث نيكاراجوا فى "النيويورك تايمز"، بإجمالى بلغ أكثر من ٢٣٠٠ مقالاً، لم تتضمن سوى ٣٠ إشارة عابرة إلى استطلاعات الرأى؟ ربما كان ذلك لأن استطلاعات الرأى أوضحت أن الجمهور العام فى الولايات المتحدة يعارض بنسبة ١:٢ تزويد إدارة ريجان للكونترا بالمساعدات(٩).

إن الدور الذى تؤديه وسائل الإعلام بالنسبة للدولة ولمواقع السلطة الأخرى هو أشبه ما يكون بما يقوم به حيوان أليف حرون أحياناً إزاء مالكه. وتماماً مثل هذا الحيوان الآلى، تتطلب وسائل الإعلام المزيج الملائم من "التكميم"، والتغذية والتهيئة، ويتعين أن تُلجم بين الحين والآخر بلجام السيطرة.

والسؤال الواضح فى أى مناقشة لتكميم وسائل الإعلام هو الرقابة : فمن الذى يقرر ما الذى يجب ألا نقرؤه (وأيضاً ألا نسمعه)؟

لقد كانت الرقابة التى مارسها "البنتاجون" على وصول وسائل الإعلام إلى المعلومات إبان غزو جرينادا وبنما وفى الحرب ضد العراق صارخة وفعالة. وكثيراً ما تحجب حكومة الولايات المتحدة، عادة بإسم "الأمن القومى"، المعلومات عن التداول العام.

كذلك تمارس الرقابة على مستوى مالكى المؤسسات. فقد خطط معدو برنامج "اليوم" فى شبكة "إن.بى.سى" لتقديم فقرة عن أكبر حملة مقاطعة استهلاكية فى الولايات المتحدة، حتى علموا أن حملة المقاطعة تلك كانت موجهة ضد مالك شركتى "إن.بى.سى" وشركة جنرال إلكتريك (بسب إنتاج الأسلحة النووية)(١٠) كذلك إستقال مراسل مجلة "فورشن - Fortune" الذى قام بإعداد قائمة المجلة حول المديرين الأعلى أجراً عام ١٩٩١ عندما تدخل المديرون العاملون فى الشركة صاحبة المجلة، "تايم وارنر"، "فى جهوده لتقدير المبالغ التى حصل عليها ستيف روس رئيس مجلس إدارة الشركة"(١١).

كما يمكن للرقابة أن تتخذ شكل التخويف. ففى أعقاب إذاعة إحدى الحلقات من البرنامج الاسبوعى "Sixty minutes" والتى انتقدت تعامل اسرائيل مع "مذبحة جبل المعبد" فى أكتوبر ١٩٩٠، استدعى مالك شبكة "سى.بى.إس" ورئيس مجل إدارتها لورانس تيتش المعد مايك والاس والمنتج دون هيويت ووبخهما بعنف. (وفى وقت لاحق تأكدت صحة رواية والاس من خلال تحقيق قضائى إسرائيلى مستقل).

وفضلاً عن ذلك فإن دولاً أخرى، ومعها أنصارها، تشن أيضاً حملات تخويف. فعندما أذاعت شبكة "إن.بى"سى" برنامجاً نقدياً عن سياسات الاحتلال الإسرائيلية، عام ١٩٨٧، منعت حكومة الليكود شبكة "إن.بى؛سى" من إجراء أى مقابلات مع المسئولين الإسرائيليين، ولم ترفع هذا الحظر إلا بعد أن وافقت الـ"إن.بى.سى" على إذاعة الاعتراضات الإسرائيلية على البرنامج.

وعندما وضعت الشبكة العامة فيلم "موت أميره" - وهو دراما تسجيلية تنتقد النظام القضائى ومعاملة المرأة فى السعودية - فى خريطة البرامج، شنت الحكومة السعودية وشركة موبيل أويل، أحد الرعاة الرئيسيين للشبكة وشريكة السعودية فى الصناعات النفطية، حملات علنية وسرية لإلغاء بث البرنامج. وتم عرض الفيلم، لكن أضيفت إليه حلقة نقاش من مجموعة من "الخبراء" كانت مهمتهم الرئيسية تنظيف الصورة السعودية التى لطخها الفيلم.

وقد استخدم أنصار إسرائيل هذا الأسلوب كلما جرؤت الشبكة العامة على أن برامجها برنامجاً يعكس وجهة نظر فلسطينية : فيشنون أولاً حملة من أجل إلغاء بث البرنامج، ثم يصرون على أن يخصص لهم "وقت مساو" لزمن البرنامج أينما عرض.

التغذية والتهيئ

من الذى يحدد ما نشاهده، وما نقرؤه وما نسمعه؟ إن حكومة الولايات المتحدة تستخدم حوالى ١٣٠٠٠ شخص، بتكلفة تصل إلى ٢,٥ بليون دولار سنوياً، للقيام بمهام تتعلق بالعلاقات العامة والإعلامية. ويستخدم "البنتاجون" وحده ٣٠٠٠ موظف من هؤلاء بتكلفة تبلغ ١٠٠ مليون دولار سنوياً(١٢) وخلال اليوم العادى يصدر كل من البيت الأبيض والبنتاجون موجزين صحفيين، بينما تصدر وزارة الخارجية موجزاً واحداً. وتحدد هذه الموجزات الصحفية اليومية من نواحٍ عدة، الخطوط الرئيسية لبرنامج تغطية الأنباء الخارجية (بما فى ذلك تغطية المراسلين الأجانب المقيمين فى واشنطن).

ولو لم يكن لدى حكومة الولايات المتحدة بالفعل هذه الآلة الدعائية المؤسسة الممولة من دافعى الضرائب، فربما كان سيتعين عليها أن تستأجر شركة للعلاقات العامة مثل شركة "هيل ونولتون"، كما فعلت دول مثل السعودية، وتركيا، والمغرب، والكويت(١٣)، (تحصل إسرائيل على استشارات متعلقة بالعلاقات العامة من كبرى شركات "ماديسون أفنيو" بموجب مصالح مشتركة قائمة). وقد دفعت الكويت لشركة "هيل ونولتون" ما يقارب ١١ مليون دولار نظير خدمات مثل مادة الفيديو اليومية التى شكلت مصدراً لأغلب الشرائط المتلفزة حول "المقاومة الكويتية" و"جماعات المصالح" التى انتشرت فى مناطق الولايات المتحدة المختلفة لتحديد الأسس أو المبررات المنطقية التى يمكن أن تولد أكبر تأييد جماهيرى لسياسة الحرب المتبناة من إدارة بوش(١٥).

ويعتمد الصحفيون ومعدو البرامج الاخبارية اعتماداً رئيسياً على المادة المقدمة من

الإعلام الأمريكى لا يعرض ما يحدث فى العالم

بقدر ما يقدم ما يقول البيت الأبيض أنه يحدث فى العالم

مؤسسة العلاقات العامة. بحيث أصبح يتعذر فى حالات كثيرة، كما يشير الناقدان مارتن لى ونورمان سولومون، التمييز بين الصحافة والكتابة "الاختزالية". حتى أنه تم نحت "توصيف خاص - هو "الصحافة المستقصية" - لتمييز تلك الجهود التى تتجاوز البلاغات الرسمية والمادة الصحفية الجاهزة المقدمة من المؤسسات.

إن أغلب الصحف اليومية مملوكة لمجموعات إعلامية مثل جانيت ونات ريدر. وترسل شركة هيرست، والتى تملك ١٣ صحيفة، مقالات افتتاحية متعددة يومياً لصحفها التابعة. بعضها يجب استخدامه والبعض الآخر اختيارى. وتملك شركة "النيويورك تايمز" ٣١ صحيفة يومية أخرى، ويتوافر لخدماتها الاخبارية ٦٠٠ منفذ فى مختلف أنحاء العالم.

ويعتمد الصحفيون العاملون فى الشرق الأوسط على جهات تزويد الأخبار المحلية، التى عادة ما تكون " مصادر دبلوماسية" والمصادر الصحفية الأخرى. ويتمثل جزء من السبب فى هذا هو إمكانية تعرض الناس للإعتقال فى هذه البلدان أو تعرضهم لما هو أسوأ لتحدثهم مع مراسل صحفى أجنبى. لكن من الأسهل أيضاً القيام بالمهمة من فندق محلى راقى المستوى. يقول أحد المراسلين الصحفيين، والذى عمل فى الشرق الأوسط مراسلاً لصحيفة أمريكية كبرى، "إذا تأملت فهرس تليفونات أى مراسل صحفى فى الشرق الأوسط، ستجد أن ٨٠ إلى ٩٠٪ منها أرقام تليفونات لدبلوماسيين، ودبلوماسيين غربيين. وهم يتداولون فيما بينهم تلك الأسماء"(١٦).

وتتجاوز العملية التى يتم عبرها "تنقيح" المعلومات وتحليلها جهات الرقابة على المعلومات ومزودى الأخبار الى مكونات الآلة الإعلامية نفسها. إنها تلك العملية التى يتم من خلالها تشفير المعلومات - حيث يصبح "الاعتداء السافر" في حالة بلد ما " مهمة حفظ سلام" فى حالة بلد آخر، وحيث يكتسب ملك صديق شهرة الاتصاف "بالإعتدال"(١٧). بل إن "اللحن المميز" والشعارات المميزة تشكل جزءاً من العملية. ولقد تساءل جون ماك آرثر، فى كتابه عن وسائل الإعلام وحرب الخليج، مستفهماً: لماذا لم تقدم شبكة "سى.بى.إس" مشاهدها عن أزمة الخليج ببعض الفواصل من

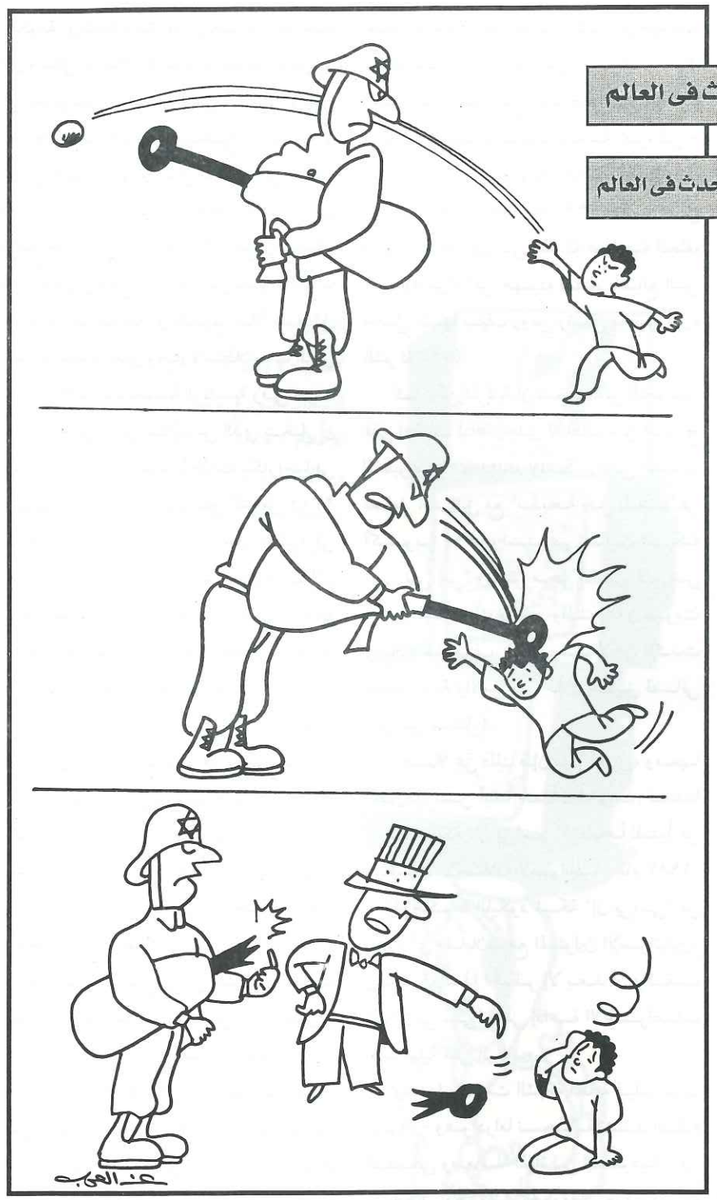

السيمفونية الرعوية لبيتهوفن، وشعارات الأمم المتحدة. وصوت ممزوج مع الموسيقى يقول : "البث عن السلام : شبكة سى.بى.إس تقدم لكم تغطية متصلة لجهود المجتمع الدولى لتجنب الحرب فى منطقة الخليج"(١٨).

وفى حالة وسائل الإعلام المطبوعة، تُعيد الصحف والمجلات الاسبوعية انتاج إبهار وسطحية التغطية الالكترونية. وخلال أزمة الخليج، قدمت الصحف اليومية الكبرى بعض الانتقادات للسياسة الرسمية، ولكن من ناحية التغطية فالنتيجة لا تتغير. فالذين يقررون أى التقارير والمقالات الصحفية يمكن أن ينشر لهم أراء متطرفة فى القضية المعنية. ولنأخذ حالة أ.م.روزنتال، الذى تعكس أعمدته حول الشرق الأوسط فى "النيويورك تايمز" رؤية سياسية أقرب ما تكون للرؤية السياسية لأرييل شارون. إن وجهة نظره ككاتب عمود يومى، شديدة الوضوح. ومع ذلك فقد ظل، طوال عشرين عاماً، مسئول التحرير التنفيذى والإدارى فى "النيويورك تايمز" : صحيح أنه لا ينشر كلمة واحدة بإسمه هو، لكنه هو الذى يحدد الموضوعات ومن يكتبها من الصحفيين، وكلمته مسموعة فيما يمكن أن تنشره "النيويورك تايمز" أو لا تنشره حول إسرائيل والشرق الأوسط، على مدى عقود عديدة حاسمة، والطريقة التى تقال بها الآراء التى تنشر. لقد ساعد روزنتال على تشكيل تصورات ومفاهيم عامة عن المنطقة وعن سياسة الولايات المتحدة خلال وقوع الأحداث المهمة فى المنطقة، وسيواصل تشكيل آراء الطلاب وغيرهم ممن يلجأون إلى "السجل الأرشيفى" للصحيفة من أجل رواية موثقة للتاريخ الحديث.

إن هناك قواعد ثلاث مستمدة من التجربة لابد أن يتبعها أى طرف، يرغب فى التأثير فى الكيفية التى يتم بها توصيل موضوع أو قصة ما عبر وسائل الإعلام :

(١) قم بإعداد "الرواية" الأولى للحدث.

(٢) قم بإعداد المقدمة.

(٣) أعد برنامج للدردشة مع شخصية شهيرة "Talk Show"* داخل البنية المؤسسية لوسائل الإعلام فى الولايات المتحدة هناك، فضلاً عن الشبكات التليفزيونية الرسمية، شبكات أخرى أقل رسمية تساهم فى تقديم الأخبار وتفسيرها. قبل اسبوعين من بدء الحملة الانتخابية الرئاسية، تساءل برنامج "تليفون آخر الليل" فى شبكة "إيه.بى.سى" عما إذا كانت وائل الإعلام غير منصفة فى تعاملها مع الرئيس، وقام بدعوة مشرفى لجنة الحملة الإنتخابية لبوش / كويل إلى الاستوديو لتقديم تقرير عن أخبار اليوم من وجهة نظرهم - كما لو أن الأخبار لا تقدم عادة من وجهة نظر البيت الأبيض - وكان الشخص الذى رتب للدعوة هو مساعد بوش للاتصالات دورانس سميث، الذى عمل قبل ذلك منتجاً منفذاً لبرنامج "تليفون آخر الليل". وعندما أعلن ميث انتقاله من شبكة "إيه.بى.سى" إلى البيت الأبيض، وصفته "الواشنطن بوت" بأنه "صديق العمر لمعاونى بوش"(١٩).

ما القاعدة الحاكمة لطريقة عرض أى موضوع عبر وسائل الإعلام الأمريكية ؟

عبادة الخبرة

بما أنه يفترض أن مهمة الصحفى هى كتابة التقرير أو الموضوع الصحفى، فإن وسائل الإعلام تتسوق فى مكان آخر التحليل والتفسير، فعندما يتعلق الأمر، على سبيل المثال، بقصة إخبارية أجنبية على درجة من الأهمية، يصبح اللقاء مع مسئول حكومى - أو "مشارك فى اللعبة"- أو ظهوره كضيف فى برنامج، أمراً إلزامياً.

ويأتى بعده "المشاركون السابقون فى اللعبة" وأغلب "خبراء الإعلام النشطين فى الحقل" هم "مشاركون سابقون فى اللعبة. وقليل منهم، لو وجد هذا القليل أصلاً، هو الذى يملك خلفية وتجربة سابقة كدارس مستقل. يقول جيمس سميث، فى كتابه عن "مراكز الاستشارات والبحوث" "Think tanks"، إذا ما أراد خبير أو مستشار السياسات أن يكون مطلوباً، فإن عليه أن يخاطب السلطة ضمن سياق سياسى وبيروقراطى، كما أن عليه أن يقول حقائق مفيدة. وينبغى أن ينظر دائماً إلى دعاواهم عن الحقيقة فى ضوء علاقتهم بالسلطة(٢٠).

ومن أجل دعم أطروحاتها بـ"المصداقية، الموثوقية، وتأكيد الحقيقة الموضوعية" كرست وسائل الإعلام مجموعة صغيرة من "المصادر غير الرسمية" والتى يمكن الاعتماد عليها فى تعزيز منظور "المصادر الرسمية". وقد كشفت جانيت ستيل عن أن "مجموعة صغيرة نسبياً من المصادر غير الرسمية "تسيطر على موجات الإذاعة. وأغلب أفراد هذه المجموعة يأتون من مراكز الاستشارات والبحوث مثل "أمريكان انتربرايز انستيتوت"، و"بروكنجز"، و"هيريتيدج فاونديشن". وتحصل تلك المؤسسات - وأغلبها تم تأسيسه خلال الأعوام العشرين الماضية من أجل تقديم جداول الأعمال للسياسات المحافظة واليمينية - على دعم مالى كبير من الشركات الكبرى. ومن الاستراتيجية والدولية" يحصل على مساهمات مالية من شركات تعمل فى حقل الصناعات العسكرية كشركة "لوكهيد"

* "Talk Show" برامج استعراضية فى أمريكا بدأت منذ فترة - ما - تتسم بالسذاجة والبساطة وحتى بالوضاعة نوعاً ما، وتتدرج منها - استعراض - حول علاقات الخيانة الزوجية إلى الحديث عن السياسة.. ولكنها فى سياقها الثقافى العام لا تحمل المعنى الإيجابى، وصارت مثل الوصمة إذا استخدمت لوصف برنامج، وأعتقد هذا ما قصده الكاتب. الاستعراضات هى برامج لملء فراغ فترات البث وحتى أفضلها لا يحمل الكثير من المعلومات التثقيفية الحقيقية.. وكأن الكاتب يلمح : مسودة أولى ثم عناوين طنانة وبعدها الكلام الشعبى أو الاستعراض المطلوب والطنان.

الصحفيون عليهم أن يبحثوا عن دور جديد بعد إنتشار مؤسسات وشركات توزيع المواد الإعلامية "سابقة التجهيز"

ومن شركات إعلام مثل مؤسسة "النيويورك تايمز"، والتى قد يكتب لها الخبير المقيم مقالاً يبرز فى الصفحة الأولى يروج لبرنامج معين لشراء الأسلحة. وتثبت جانيت ستيل بالوثائق "التحيز العملياتى" وراء مثل هذا العمل الاستشارى الإعلامى : إذ يطلب من "الخبراء" أن يجيبوا عما لا إجابة له ("ما الذى سيحدث بعد ذلك؟") وعما هو واضح السخف ("ما الذى يفكر فيه صدام؟"). وتكون النتيجة كلاماً نمطياً مسبوك العبارة، ونادراً ما يسأل الخبراء أسئلة صعبة حول السياسات الكامنة خلف الأزمة الجارية، وذلك لأنهم غالباً ما يكونون هم أنفسهم المسئولين عن تلك السياسات أو المقرين لها وقت بدء تنفيذها(٢١).

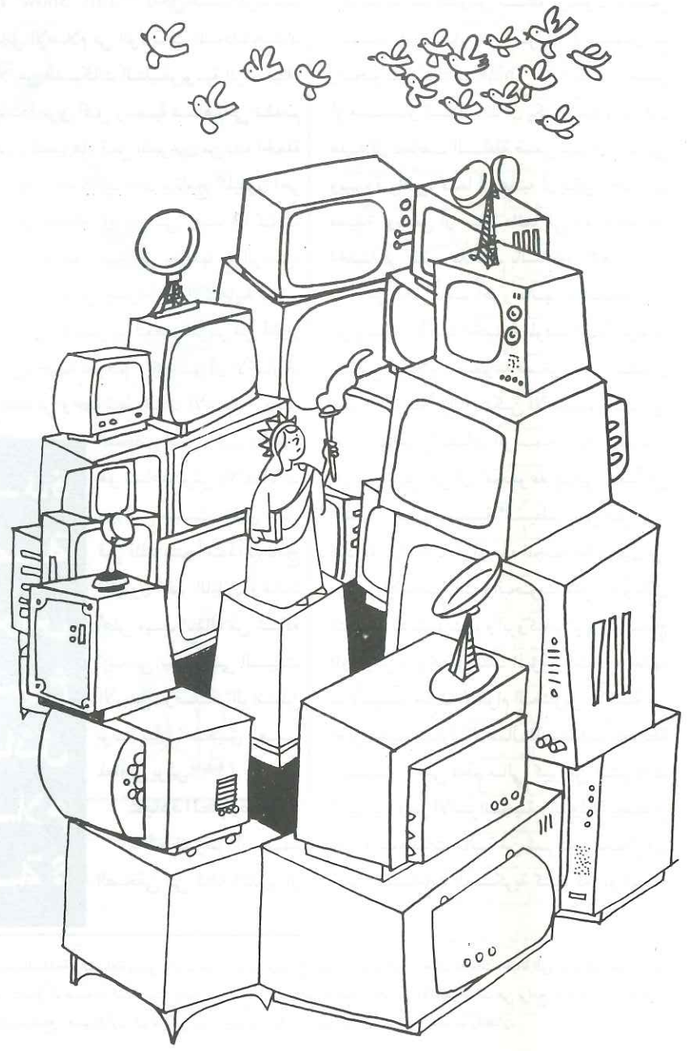

كذلك تؤدى المراكز الاستشارية وخبراؤها دوراً إضافياً يتمثل فى إضفاء حالة من "التوازن"، من منطلق الافتراض القائل إنه لا وجود سوى لجانبين إثنين - ليبرالى ومحافظ، أو ديمقراطى وجمهوري - فيما يتعلق بأى قضية. وينجم عن هذا النهج فيما يتعلق بالشرق الأوسط بعض المواقف المثيرة للدهشة، كما يحدث عندما يدعو أحد خبراء "معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى" لمداخلة ما من منظور مؤيد لإسرائيل (وهو اختيار مناسب تماماً) وتتم "موازنة" ذلك "بمنظور فلسطينى" من مؤسسة بروكينجز!(٢٢).

إن المشكلة التى تطرحها سلطة الإعلام ليست مشكلة فكرية. وقرار التصعيد لدرجة الحرب مع العراق كان خاطئاً لأسباب كثيرة، لكن ليس لأن قصف بغداد تم توقيته بحيث يتزامن مع موعد نشرات الأخبار المسائية فى الولايات المتحدة. إن المشكلة سياسية فى واقع الأمر : مشكلة السياسات التى تفرضها الدوائر الحاكمة. لقد كتب جرامشى يقول أن فى المجتمع الرأسمالى الحديث، تتمثل مهمة الدولة الرئيسية فى المجتمع فى توفير نوع من التوازن بين القسر والقبول فيما يتعلق بتأمين إذعان المواطن لتلك السياسات، والقبول بالمصالح المسيطرة التى تخدمها. ووسائل الإعلام مؤسسة تلعب دوراً حاسماً فى تسهيل هذا التوازن، من أجل أن يكون للقبول الدور الأكبر.

الهوامش

(1) Eric Hobsbawm, Nations and Nationalism Since 1780 (Cambridge : Cambridge University Press, 1990).

(2) Jerry Mander, Four Arguments for the Elimination of Television (New York : William Marrow & Co., 1978).

(3) Richard Harwood, "Journalism : A Look toward the Millenium, "Washington Post, November 27, 1992.

(4) Karen Rothmeyer, "The Media in Recession : How Bad Is It?" Columbia Journalism Review, September - October 1991, p. 25.

(5) Ben Bagdikian, The Media Monopoly (Boston: Beacon Press, 1990).

(6) Cited by Lewi Lapham, Harper's, May 1991.

(7) Rothmeyer, pp. 23, 26.

(8) Anthony Giddens, social Theory and Modern Sociology (Cambridge: Polity Press, 1986), p.256.

(9) Martin Lee and Norman Solomon, Unreliable Sources (New York: Lle Stuart, 1990), p. 138.

(10) Fairness and Accuracy in Media (FAIR), Extra! Januar - February 1991, p. 4.

(11) Extra!, November-December 1991, p. 12.

(12) Lee and Solomon, p. 104.

(13) Susan Trento, The Power House (New York, St, Martin's, 1992).

(14) Robert Friedman, "Selling Israel to America," Mother Jones, February-March 1987.

(15) Morgan Strong, "Portions of the Gulf War were brought to you by.. the folks at Hill an Knowlton," TV Guide, February 22, 1992.

(16) Interview, November 1992.

(17) On this filtering process, see Edward Herman and Noam Chomsky, Manufacturing Consents (New York, 1988).

(18) John MacArthur, Second Front: Cenorship and Propaganda in the Gulf War (New ork: Hill and Wang, 1992), p. 86.

(19) February 28, 1991.

(20) James Smith, The Idea Brokers (New rk: Free Press, 1991), cited in Janet Steele, "Enlisting Experts: Objectivity and Operational Bias in Television News Analysis of the Persian Gulf War," Media Studies Project (Washington: Woodrw Wilson International Center for Scholars, 1992), p.13.

(21) Steele, passim.

(22) Steele, p. 22.

الإسلام السياسى والتليفزيون المصرى

لو تجولت مساء أى يوم فى شوارع القاهرة، أو فى أزقة أى قرية مصرية، فسوف ترى شاشات أجهزة التليفزيون تومض فى كل مكان، وستسمع حوار وموسيقى المسلسل اليومى المعروض فى تلك الفترة من المساء المبكر. وإذا ماقرأت الصحف اليومية فستجد مقالات ورسوماً كاريكاتيرية سيتعذر عليك فهمها لو لم تكن متابعاً لأحداث تلك المسلسلات الدرامية التليفزيونية. إن هذه المسلسلات، التى يتألف كل منها عادة من خمس عشرة حلقة وتُذاع على أيام متتالية، هى بمعنى من المعانى النغمة الضابطة لإيقاع الحياة القومية. فالتوافر الواسع النطاق لأجهزة التليفزيون وساعات الإرسال وقنوات التليفزيون المحدودة العدد تعنى أن الجمهور المشاهد يشمل غالبية المصريين.

ليلى أبو لغد*

وإذا كانت مسلسلات التليفزيون تنتج جماعة قومية، وإذا كان التليفزيون فى مصر- كما فى العديد من بلدان العالم الثالث- يخضع لإشراف الدولة، فكيف تتسق المادة الترفيهية المقدمة لهذه الجماهير الغفيرة من المشاهدين مع السياسات والأوضاع السياسية القومية؟ فعلى الرغم من تخصيص مساحات زمنية للبرامج الحوارية وللمناقشات التى تبث آراء سياسية فى التليفزيون المصرى، فإن المسلسلات الميلودرامية هى الأكثر شعبية، ومن ثم الأكثر تأثيراً.

ومع أن هذه المسلسلات يُقصد بها الترفيه، فإنها لاتخلو رغم ذلك من الرسائل السياسية، فمن الذى يتحكم فى مضمون تلك الرسائل ومن الذى يجرى إستبعاده؟ وهل تؤثر الجماعات الإسلامية القوية النفوذ، أيضاً، فى الدراما التليفزيونية.

يذكر كريم الراوى فى دراسة كتبها بعد حادث إغتيال فرج فودة، أحد الناشطين المصريين البارزين فى الدفاع عن حقوق الإنسان، فى يونيو ١٩٩٢- أن قرار إغتيال فرج فودة أُتخذ بعد مناقشة فى معرض القاهرة الدولى للكتاب فى فبراير ١٩٩٢ بين العلمانيين ومؤيدى الأخوان المسلمين، وهى مناظرة تم تصويرها تليفزيونياً لكنها لم تُذع قط. وينسب الراوى الفشل فى إذاعتها تليفزيونياً إلى "تأثير اللوبى الإسلامى فى وسائل الإعلام التي تمتلكها الدولة". ويذكر أيضاً أن كلاً من جامعة الأزهر وجماعة الأخوان المسلمين لم تعلنا إدانة الإغتيال. وقد كتب يقول "" وبدلاً من ذلك، وجَّهتا النقد للحكومة لإتاحتها الفرصة للكُتاب العلمانيين للتواجد فى وسائل الإعلام" **

وسأحاول أن أثبت فى هذا المقال أن نظرة على المسلسلات التليفزيونية الرئيسية لأواخر الثمانينات وأوائل التسعينات تكشف أنه برغم تميز كُتاب ومنتجى المسلسلات المصرية الأرفع مستوى بإستقلال معين عن الحكومة (انعكس فى النقد الإجتماعى الذى تميزت به أعمالهم)، فإنهم مشاركون مع ذلك فى خطاب واحد مشترك حول القومية والمواطنة. ويتجلى هذا الإجماع على نحو مباشر فى التعامل المتغير مع موقع الدين (فى الحياة العامة)، أحد المضامين السياسية الأكثر إلحاحاً فى مصر اليوم.

إن القضايا المتعلقة بموقع الإسلام هى فى قلب الحياة العامة فى مصر اليوم. فالهجمات المسلحة والحملات الأمنية الحكومية الدورية على الجماعات الإسلامية تتناوب مع محاولات الإستقطاب والإحتواء. وتتنامى علامات بروز هوية ثقافية إسلامية واعية لذاتها. لقد تحددت معالم الصراع بوضوح سافر، وهو ينعكس وتتم إدارته من خلال وسائل الإعلام، وبخاصة التليفزيون، بطرائق بارعة.

* أستاذ مشارك الانتروبولوجى بجامعة نيويورك.

** يعكس قلق الراوى الشعور الواسع النطاق بأن الوصول لوسائل الإعلام والسيطرة عليها، وبخاصة التليفزيون، هى قضية سياسية محورية فى مصر.

وقد أكد ممدوح الليثى- مدير قطاع الإنتاج السينمائى والتليفزيونى فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون- فى أواخر الثمانينات، أنه كان موضع إهتمام رئيسياً بالنسبة لمنتجى التلفزيون، وقال إن الموضوعات التى تعالجها الدراما التلفزيونية ينبغى أن تتغير بحيث تواكب إهتمامات المشاهدين. ومن بين المشكلات التى تواجه الناس فى التسعينات، أورد الليثى أزمة الإسكان، وتنظيم الأسرة، والإدمان على المخدرات، والتطرف الدينى.

الإسلام والثقافة العامة فى الثمانينات:

انعكست العلاقة المتغيرة بين منتجى التلفزيون والعلمانيين وقوى "التطرف الدينى" فى المسلسلات الشعبية بطرائق مختلفة خلال الثمانينات والتسعينات. ففيما عدا إستثناء مهماً واحداً (وهو مسلسل "ليالى الحلمية" المثير للجدل، والذى سنعرض له فى موضع لاحق)، التزمت مسلسلات الثمانينات الصمت بصورة لافتة للنظر تجاه الحركات الإسلامية وتجاهلت عن عمد الرؤية البديلة التى تطرحها هذه الحركات لموقع الإسلام فى مستقبل مصر، لأسباب سياسية نوعية. وقد تغير الوضع تغيراً كبيراً فى التسعينات عندما تم البدء فى تطبيق سياسة استخدام الإعلام فى محاربة "الإرهاب".

ومن الأمثلة التى يمكن إيرادها على مواقف الثمانينات أعمال كل من محمد فاضل، أحد أبرز المخرجين الدراميين فى التليفزيون المصري، وأسامة أنور عكاشة، الكاتب المتميز والذى قدم للتلفزيون أعمالاً درامية رفيعة المستوى. ولقد أسفر تعاونهما عن مسلسلسين فى الثمانينات حققا شعبية واسعة وأثارا نقاشاً محتدماً فى الصحافة وفى اللقاءات العامة فى مختلف أرجاء البلاد.

ويمكن النظر إلى هذين العملين على أنهما تعليقات نقدية على مصر المعاصرة، تم تجسيدها ببراعة فى مزيج ترفيهى من الميلودراما والكوميديا.

وأول هذين المسلسلين، وهو "الراية البيضاء"، بث تلفزيونياً عام ١٩٨٩، بعد سنوات عدة من المتاعب مع الرقابة. أما الثانى فهو "رحلة أبو العلا البشرى: كوميديا عن الناس والأخلاق فى هذا الزمان"، وقد بث قبل ذلك بسنوات.

وتتسم الشخصيتان الرئيسيتان فى المسلسلين بالإحترام، فكل منهما رجل ذو حس أخلاقى عال فى أواخر الخمسينات أو بداية الستينات من عمره، أمضى حياته فى الخدمة العامة، أحدهما كسفير لمصر فى أوربا والثانى كمفتش رى فى الريف المصرى، وكلاهما على درجة عالية من التعليم والثقافة. يعود السفير إلى الاسكندرية بعد سنوات طويلة قضاها خارج البلاد. ويعود المهندس إلى "قاهرة" لم يزرها منذ أعوام. ويجد كلاهما نفسه أمام مصر متغيرة، ويضطر لمواجهة قوى الفساد الراهنة التى تهدد المجتمع المصرى.

فى "الراية البيضاء"، ينجرف رجل الثقافة والتذوق، والذى يعتز بتراثه الوطنى، وبالفن، وبالكتب، وبتشايكوفسكى، إلى حرب مع سيدة تنتمى لفئة الأغنياء الجدد وتعمل فى بناء العقارات. فهذه المرأة العنيدة، والتى يعاونها محاميها عديم الضمير، وبعض قطاع الطرق والبلطجية، وحشد من الموظفين والصحفيين المرتشين، تحاول إجباره على بيع فيلته القديمة المواجهة لشاطئ البحر فى الاسكندرية لكي تبنى فى موقعها مجموعة عمارات سكنية. وفى "رحلة أبو العلا البشرى" يذهب الرجل الجاد إلى القاهرة محاولاً إحياء صلاته بأقاربه الغارقين فى

العائلية، والأم تفشل فى ضبط سلوك أطفالها، والزوجات فى جدال وشجار دائمين مع أزواجهنّ والأطفال لايحترمون آباءهم. ويشكو بطل المسلسل لأقاربه "أين احترام الصغير للكبير وحُنُو الأكبر على الأصغر؟ أين إهتمام الأم بأطفالها؟ أين خوف الأطفال من أمهم؟ أين ذهب ذلك كله؟".

إن المسلسلات التى أخرجها فاضل وكتبها عكاشة تتسم بمهارة وحرفية وتعقيد أكبر بالمقارنة بالأعمال التى أنجزها أغلب كُتاب ومخرجى التلفزيون الآخرين. لكنها تختلف قليلاً فيما يتعلق بتوصيفها للمساوئ الإجتماعية.

فالمسلسلات الأخرى المُنتجة فى الثمانينات تظهر الأفراد والأسر وهم يناضلون ضد الروتين البيروقراطى، وضد إستحالة إنجاز أى شئ دون وجود علاقات و(أو) رشاوى، وضد أزمة الإسكان، وإرتفاع الأسعار. ويتم دائماً تصوير الظروف الصعبة لعالم باهظ الأسعار على أنه عالم يغرى الجيل الأحدث بالتنازل عن قيمه والتخلى عن إحترامه للآبائهم. إنهم يبحثون عن أعمال مهينة أو غير محترمة، أو حتى غير مشروعة (كالعمل كجرسون فى كافتيريا أو كازينو، أو التمثيل، أو الإتجار فى المخدرات) أو الزواج من أجل المال. إن المسلسلات تدور بعبارة أخرى حول الصراعات التى يخوضها الأشخاص الطيبون فى كفاحهم من أجل أن يظلوا كذلك فى زمن الإغواء.

ومما يمكن أن يُعد سمة فريدة فى هذين المسلسلين الشعبيين هو أنهما يشخصان الأخلاقية واللا أخلاقية لا من خلال التناقض بين التقليدية والحداثة أو بين المحلى والغربى بل من خلال التناقض بين طبقتين إجتماعيتين. إحداهما تتألف من هؤلاء الذين اغتنموا فرصة "الإنفتاح" أو "اللبرلة" الإقتصادية التى دشنها السادات فى أواخر السبعينات، ويصور المسلسلان أفراد هذه الطبقة كقطط سمان تجول في الشوارع فى عربات مرسيدس آخر موديل فى الوقت الذى يعجز فيه آخرون عن تدبير نفقات الزواج، ويرتدون بذلات فاخرة ويجلسون فى مكاتب داخل مبانى إستثمارية من الزجاج والصلب، يتعاملون فى البناء ويتقاضون ويقدمون الرشاوى، ويختلسون بينما يعانى الآخرون البطالة. أما شبان هذه الطبقة فهم مفسدون وأنانيون، بهرهم المال والرفاهية، ويسعون إلى أن يصبحوا نجوم سينما أو مطربى "بوب" أو اصحاب بوتيكات.

أما الطبقة الأخرى فتتألف من المهنيين المتعلمين، وهم ليسوا مجرد مهندسى رى ودبلوماسيين، بل أيضاً محامون، ومهندسون معماريون، وطلاب طب وأطباء، وطلاب جامعيون، ومدرسو فلسفة، ومديرو مدارس، وصحفيون يتسمون بالنزاهة، وفنانون جادون، ومترجمون. وبعضهم ارتفع من قاع المجتمع من خلال التعليم، والبعض الآخر عاش حياة مريحة طيلة حياته. والصفات التى تجمع بينهم هى الأمانة والإهتمام بالآخرين وبقضايا المجتمع.

ولاتعارض يُقام بين "التغريب" و"الهوية الوطنية" الأصلية، أياً كان تعريفها. فكل من هاتين الطبقتين من الناس، كما يقدمهما المسلسلان، تتمتع بالكثير مما يمكن إعتباره حديثاً وغربياً. والفارق بينهما يكمن فيما أدخلته من معالم التغريب والحداثة فى حياتهما. فالشخصيات الشريرة من الأغنياء الجدد استعارت من الغرب والحداثة السيارات الأجنبية وموسيقى البوب، والكلمات الانجليزية التى لاتعرف كيفية استخدامها، والتليفونات ذات الألوان الزاهية، وورق الحائط المزركش. بينما أخذت الشخصيتان الرئيسيتان فى المسلسلين، كقيم مصرية، التعليم وحب الفن والتراث. فنجد بين محتويات مكتبة أبو العلا البشرى كتباً لأرسطو، وطه حسين، وفولتير. كما نجد أن الفيلا (فى الراية البيضاء) الممتلئة بالتحف الفنية، كانت فى الماضى المكان الذى يلتقى فيه الوطنيون المصريون الأوائل.

ومايثير الدهشة فى هذين العملين، فى سياق الوضع الحالى فى مصر، هو غياب الدين كمصدر للمبدأ الأخلاقى وتجنب الإشارات الواضحة للتدين ولهوية المسلم فى الشخصيتين المحوريتين. ولايُكسر حاجز الصمت إزاء الحركة الإسلامية كبديل حديث إلا للسخرية. فالشخصية الشريرة فى "الراية البيضاء" ترتدى ثياباً هى مسخ كاريكاتورى للثوب الإسلامى الجديد المحتشم الذى أصبح علامة تقليدية على التقوى. ورأسها ملفوف بغطاء رأس وتُلقب بالحاجة. لكن غطاء رأسها من نسيج تتخلله خيوط ذهبية وأحياناً يُحلّى بمزيد من البمبونات الزاهية الألوان، وكلامها فظ. واللوحة المذهبة المنقوش عليها آيات قرآنية تزيّن مكتبها ويعلوها جهاز تليفزيون ضخم وصورة فوتوغرافية لها وهى تدخن النارجيلة. ولاشئ فى سلوكها كله ينبئ بالتقوى الحقة.

إستثناءات:

كثيراً ماجُسدت الأشكال اليومية للتدين، والتى تشكل جزءاً ثابتاً من الحياة اليومية فى مصر، فى المسلسلات الجماهيرية: فالشخصيات المسنّة أو الفلاحون البسطاء يظهرون فى بعض الأحيان وهم يصلون أو يرددون تعبيرات دينية. على أن المرء لايجد عند شبان المدن فى مسلسلات الثمانينات- بإستثناء القسم الرابع من "ليالى الحلمية" والذى سنتناوله فى موضع لاحق- أى تأكيد للهوية الإسلامية. والعنصر الباعث على الغموض فى تلك المجموعة من المسلسلات يمكن تتبعه من خلال مسألة الثياب: فهناك تناقض حاد بين ثياب الممثلات حاسرات الرأس والمجهزات حسب الموضة فى المسلسلات وبين ماترتديه المرأة الحضرية الفعلية، النساء المتعلمات وشبه المتعلمات فى الشوارع والمدارس والمراكز الصحية، والمكاتب (بما فى ذلك النساء العاملات فى إتحاد التليفزيون الإذاعة ذاته) حيث يرتدى أغلبهن الحجاب والثياب الإسلامية الطويلة المحتشمة.

ولايعنى ذلك أنه لاتوجد برامج دينية فى التليفزيون، فقد كانت هناك كمية متزايدة منها خلال فترة الثمانينات. لكنها ظلت بوجه عام مفصولة عن العروض الأكثر شعبية، وبخاصة المسلسلات. فآيات القرآن تفتتح وتختتم البرنامج اليومى للتليفزيون، ويقطع الآذان البرامج عند حلول موعد كل صلاة، وهناك العديد من البرامج والندوات الدينية، وتتم إذاعة وقائع صلاة الجمعة تليفزيونياً على الهواء، بل وتبث العديد من المسلسلات الدينية وأغلبها عبارة عن درامات تعليمية طنانة تاريخية الملابس حول الأيام المبكرة فى عمر الإسلام، يدور الحوار فيها دائماً بالعربية الفصحى التى يفهمها عدد

قليل من الناس ويتكلم بها عدد أقل.

وإلقاء نظرة على الجهاز المسئول عن أنشطة التليفزيون كفيل بإعطاء بعض التوضيح لسبب ذلك الإنفصال. لقد بدأ إرسال التليفزيون فى مصر عام ١٩٦٠ فى عهد جمال عبدالناصر، وأُستخدم ومعه الإذاعة، كأداة للتنمية الوطنية والتعبئة السياسية. وهذه الأيديولوجية المتمثلة فى تكريس الإتصال الجماهيرى لخدمة التنمية الوطنية ماتزال باقية عند البعض، ومنهم المخرج الذى عرضنا فيما سبق لمسلسليه. فهو يشّخص مشكلة المواطنين فى هذه "الأمة النامية" بأنها مشكلة "أمية ثقافية"، ويرى فى الدراما التليفزيونية الأداة الأمثل للقضاء على هذه الأمية.

إن العديد من مثقفى المدن العاملين فى حقل التليفزيون، من أمثال محمد فاضل وأسامة أنور عكاشة، يرون رؤاهم للحداثة والتقدم تحيق بها الأخطار اليوم من جانب كل من الأثرياء الجدد والجماعات الدينية. وتدعم مسلسلاتهم المؤسسات الوطنية العلمانية لدولة مابعد الفترة الإستعمارية، وتعزز مُثُل المواطنة المدركة لقضايا بلادها، وتأسى على مايعتبرانه إساءة إستخدام لمؤسسات جيدة وصالحة فى الأساس مثل القانون، والحكومة، والتعليم، والأسرة. وبرغم إنطواء النقد الإجتماعى الذى يطرحانه على بعض القضايا الخلافية فإنه يظل داخل حدود الأطر المألوفة لتوجهات الأحزاب السياسية الرسمية.

وليس الأمر كذلك بالنسبة للإسلاميين. فهم يتحدثون مباشرة عن نفس الفساد والنزعة الإستهلاكية اللذين تتحدث عنهما المسلسلات. وهم يطرحون- فى ملتقياتهم، وكتيباتهم، ومجلاتهم، وصلوات الجمعة فى آلاف المساجد الخاصة التى لاتستطيع وزارة

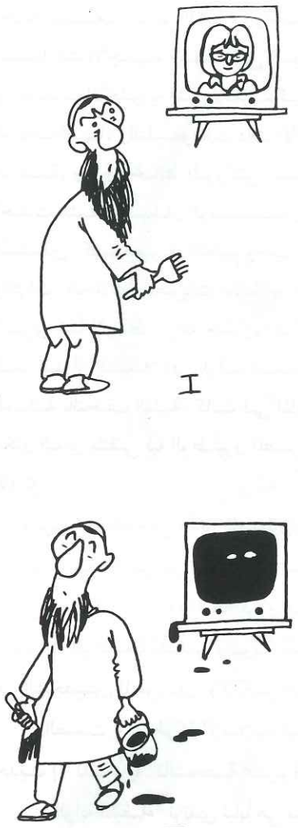

I

II

الأوقاف توفير أئمة لها- مساراً بديلاً للحداثة، مساراً يرفض الغرب والرؤية الوطنية العلمانية المُستقاة منه، كما يرفض هؤلاء المصريين الذين ربطوا أنفسهم بالغرب. وربما كان أحد أسباب إكتساب هذه الرؤيا البديلة لقبول واسع النطاق هو أنها تقدم للناس طريقاً أخلاقياً للتعامل مع العصر.

ومن الواضح أن ماكان فاضل وعكاشة وغيرهما من المشتغلين بالدراما التليفزيونية يسعون لتحقيقه بإستبعادهم رؤيا الإسلاميين من مسلسلاتهم خلال تلك الفترة لم يكن قيمة الإيمان الدينى والتقوى أو التدين، بل الموضع الذى يصبح الخطاب الإسلامى فيه ذا صلة ودلالة. لقد نجم عن الفصل بين البرامج الدينية والبرامج الشعبية إحساس بإنفصال المجالين وبعدم ملاءمة الدين للمعترك العام للتنمية السياسية، والتقدم الإقتصادى، والمسئولية الإجتماعية. وربما كان نفس هؤلاء المشتغلين بالدراما التليفزيونية الذين يرفضون، أو لايستطيعون تصوير القبول الواسع للرؤية الإسلامية، أو الذين ينتقدونها صراحة، ربما كانوا هم أنفسهم متدينين على المستوى الشخصى. لكنهم يضعون بعناية حدوداً فاصلة تشجبها جماعات الناشطين الإسلاميين.

وإذا ما أخذنا كمؤشر الصفحة الأخيرة من "الإعتصام" مجلة الأخوان المسلمين، فسنجد أن هذه الجماعات تستنكر هذا الإستبعاد وتسارع بإدانة التليفزيون. فالمقالات المنشورة عام ١٩٨٩ كرسائل مفتوحة لصفوت الشريف وزيز الإعلام على سبيل المثال، تنتقد مذيعات نشرات الأخبار فى التليفزيون لإستعراضهن غير المحتشم لجمالهن أثناء تقديم النشرة، وتدين مسلسلاً لتزييفه للتاريخ بطمسه دور القوى الإسلامية فى فلسطين وتمجيده لعبد الناصر وجهاز مخابراته الشهير، وتستنكر السلوك المشين لعدد من الممثلين والممثلات الكبار الذين أُلقى القبض عليهم مؤخراً بتهمة تهريب المخدرات. وتصف إحدى المقالات وسائل الإعلام فى مصر المعاصرة بأنها تشبه "فتاة متعبدة فى قصر السلطان تحتاج إلى حرب تحرير طويلة الأمد حتى تصبح سيدة نفسها". كذلك أُدين التليفزيون لبثه برنامجاً كان يمكن إعتباره "خطوة طيبة"- وهو برنامج دينى عن أسماء الله الحسنى- لكن صانعى البرنامج أُنتقدوا لأنهم وضعوه فى خريطة

الاسلام السياسى والتليفزيون المصرى

البرامج فى وقت متأخر من الليل بحيث لن يراه سوى "من يعانون من الأرق".

بل أن المجلة تعرضت بالنقد لصوت الإسلام الرسمى فى مصر، الشيخ جاد الحق شيخ الجامع الأزهر (فى ذلك الوقت. المترجم). فقد وجه له شاب يدرس فى جامعة إقليمية اللوم لأنه التزم الصمت إزاء مشاركة مصر فى مسابقة ملكة جمال الكون. ويلاحظ الشاب كاتب المقال بسخرية أنها حتى بعد العرض المخزى لمفاتن جسدها فى المايوه البكينى أمام وسائل الإعلام العالمية فإن ملكة الجمال المصرية لم تفز.

وفى فتوى له حول الفنون، نُشرت عام ١٩٨٨، قال الشيخ جاد الحق إن " الإسلام لايحرّم الترفيه أو المتعة". على أنه لكى تصبح هذه المتعة والترفيه مقبولتين فى الإسلام لابد أن تتمشى مع مبادئه وتعاليمه، فأساليب الأداء ينبغى ألا تثير أى رغبات شهوانية، والعروض لاينبغى أن تؤدى فى أماكن تتم فيها إستثارة الرغبات الغريزية، أو تلك المرتبطة بتعاطى الكحوليات والمخدرات. وخلافاً للمنتقدين فى مجلة "الإعتصام" يذكر أن "التمثيل يمكن أن يُستخدم كأداة لتعليم المجتمع من خلال مناقشة القضايا والمشكلات التى تهدد إنسجام مجتمع ناجح".

ومن الواضح أن هذا الحكم يبدى تسامحاً إزاء أعمال منتجى الدراما التليفزيونية الواعية إجتماعياً الذين سبق الحديث عنهم. فهنا، وكما فى ميادين عديدة أخرى، فإن موقف المسئول الأعلى فى المؤسسة الدينية فى مصر لايشكل تحدياً للحكومة، وذلك بقدر مايعكس الإنتاج التليفزيونى موقف الحكومة التى تشرف على أنشطته.

الحنين إلى عبدالناصر

بالنظر إلى أن بعض أفضل مخرجى الدراما التليفزيونية لديهم القدرة على تمويل إنتاج أعمالهم الدرامية، وهو مايفعلونه كثيراً، فإنه لايبقى لبيروقراطية تليفزيون الدولة سوى سلطة الرقابة، جنباً إلى جنب مع الرقابة الذاتية الإستباقية المصاحبة لها. وفى السنوات الأخيرة، أُضيفت قوة جديدة للإحساس الرقابى الذاتى تمثلت فى الضرورة الإقتصادية لبيع البرامج الدرامية إلى الدول العربية الثرية والمحافظة فى الخليج.

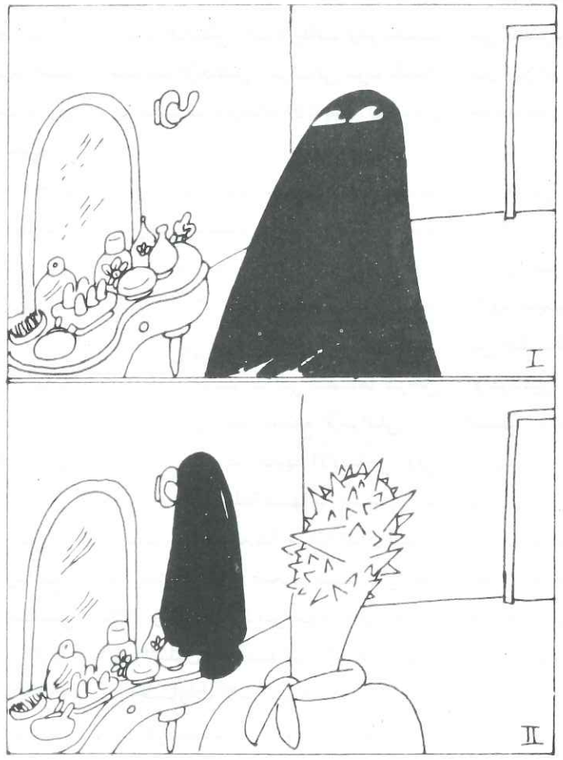

I

II

وخلافاً للعديد من المسلسلات التليفزيونية الأخرى، فإن أعمال فاضل وعكاشة غالباً ماتأتى مثيرة للجدل نظراً لأنها تنطوى على نزعة إنتقادية عالية للظروف الإجتماعية فى مصر ومن ثم، وبصورة ضمنية، للسياسة الحكومية. ولقد عُرف فاضل دائماً، وهذا ما جلب له الإحترام، بنقده الإجتماعى. ففى أول مسلسل له، وهو مسلسل "القاهرة والناس" الذى أُذيع بعد هزيمة ١٩٦٧، ركز فاضل على حالات الفساد والتخلى عن المثل القومية فى الفترة الناصرية. ولأن حلقات المسلسل كتبها إثنان من القضاة، فإن بعض قصص الحلقات كانت مُستوحاة من قضايا نظرتها المحاكم. ويعلق نور الشريف، الممثل السينمائى الشهير والذى مثلت حلقات هذا المسلسل بداية مشواره الفنى، على المسلسل بقوله: "ينتقد المسلسل بحدة العيوب والأخطاء التى أدت إلى الهزيمة وماتبعها". وعندما سُئل عما إذا كان فاضل، المخرج، مؤيداً أم مهاجماً لسياسة الحكومة فى تلك الحلقات.. أجاب بقوله: "مسلسل القاهرة والناس لم يكن معارضاً للنظرية السياسية لتلك الفترة، بل كان معارضاً لأوجه الضعف وللأخطاء التى شابت الطريقة التى جرى بها

تطبيق النظرية".

ومع التحولات الكبيرة فى السياسات الحكومية التى أدخلها خليفتا عبدالناصر السادات ومبارك، بدا أن أعمال فاضل وعكاشة قد أصبحت أكثر نقدية. وتستحضر أعمالهما الآن بمشاعر الحنين إلي فترة المثل الإشتراكية والرؤية القومية من خلال رموز مميزة للحقبة الناصرية مثل المطربة الكبيرة أم كلثوم، أو سد أسوان العالى.

والواقع أن إنبعاث الإهتمام بالفترة الناصرية ملحوظ فى عدد من المسلسلات الشعبية التى تمت إذاعتها فى السنوات القليلة الأخيرة. فمسلسل "ليالى الحلمية" ذو الشعبية الطاغية، والذى كتبه أسامة أنور عكاشة وظل يُعرض خلال شهر رمضان على مدار خمس سنوات بداية من أواخر الثمانينات، هو رواية ملحمية لتاريخ مصر الحديثة تتبع المسار الحياتى لمجموعة أسر من الأغنياء والفقراء فى حى الحلمية، أحد أحياء القاهرة الشعبية، منذ أيام الملك فاروق وحتى الوقت الحاضر. ولقد أثار تصويره الإيجابى لعبد الناصر وللفترة السابقة لحكم السادات الجدل. فخلال التسعينات، على سبيل المثال، كانت كل دورية رئيسية تنشر تقارير ومقالات إفتتاحية تدين أو تدافع عن المسلسل.

ولا ريب أن هذا الإحياء للإهتمام بعصر عبدالناصر يرتبط بالإستياء المتنامى من التغيرات الإقتصادية والإجتماعية التى جلبها "إنفتاح" السادات وبما يمكن إعتباره إعادة نظر شعبية فى معاهدة السلام مع إسرائيل التى واكبت تلك السياسة. وربما كان المسلسل الأوثق صلة بما تقدم هو مسلسل "رأفت الهجان" الذى عُرض الجزءان الأول والثانى منه خلال رمضان عام ١٩٨٩ و١٩٩٠. إذ يروى هذا المسلسل، المأخوذ عن رواية بنفس العنوان لصالح مرسى، قصة جاسوس مصرى تم زرعه بنجاح داخل المجتمع الإسرائيلى لمدة عشرين عاماً، بداية من أوائل الخمسينات. وبطل المسلسل شاب وسيم من نوعية جيمس بوند، فيما عدا أنه مدخن شره ويعمل بأدوات ذات مستوى تكنولوجى متدن، واضعاً قطعاً من الخيط خلف بابه ليكتشف أى إقتحام لغرفته، ويكتب بحبر شفاف غير مرئى. وتتم إعادته إلى مصر من خلال فريق من ضباط المخابرات المصريين الوطنيين الأكفاء. وخلافاً لأغلب المسلسلات التليفزيونية المصرية، كان هذا المسلسل سياسياً وليس دراما أسرية. على أنه لم يقدم سوى الرسالة البسيطة المتعلقة بسياسة الهوية، والتى كفلت له القبول الجماهيرى الواسع النطاق.

ويعلن المشهد الإفتتاحى عن فحوى الحبكة. فالبطل- الذى يظهر وهو يكتب وسط ألم الإحتضار- يموت في منزله بألمانيا. وهو يعترف لزوجته الألمانية: "انا لست إسرائيلياً، أنا مصرى. أنا لست يهودياً، بل مسلم". وبعدئذ تذهب زوجته إلى مصر بحثاً عن حقيقة زوجها. وتكشف بقية أحداث المسلسل عن قصة حياته، من خلال مشاهد الفلاش باك المصاحبة لسرد وقائع حياته من قبل ضابط المخابرات الذى تعامل معه خلال السنوات التى قضاها كرجل أعمال مرموق داخل المجتمع الإسرائيلى.

ومايهم فى هذا المشهد الإفتتاحى، وفى مشهد آخر فى الحلقة نفسها من المسلسل، هو أن بطلنا، وبرغم أنه بدأ حياته كأفاق صغير، هو وطنى مصرى ضحى بنفسه من أجل بلاده. ولقد قُصد من مهارته فى خداع الإسرائيليين وجاذبيته التى لاتُقاوم لسرْب من الحسناوات الإسرائيليات (واللائى أدت أدوارهن مجموعة من الممثلات المصريات الحسناوات)، تأكيد إنتصار المخابرات المصرية وإستنهاض الكبرياء الوطنى. وتغيب عن المسلسل أى رسالة سياسية أخرى فيما عدا هذا الحب العارم للوطن. ولانلمس أية إشارة لطبيعة الأوضاع السياسية الداخلية لمصر فى تلك الفترة، على الرغم من سماعنا لبعض المقتطفات من خُطب عبد الناصر المذاعة حول حرب ١٩٥٦. والأكثر مدعاة للإستغراب أنه لاذكر للأوضاع السياسية فى فلسطين ولا لتاريخ الكفاح الفلسطينى، مع أن البطل يعيش داخل إسرائيل.

وتنطوى حلقات المسلسل، وربما دون قصد، على رسالة مزدوجة. فرغم أن هدفه الأساسى هو تعزيز الكبرياء الوطنى والهوية الوطنية، وهو الأثر الذي ينجم عن إحياء ذكريات فترة عبدالناصر والتى كانت إسرائيل فيها هى العدو السافر الذى يتعين على المصريين الأبطال أن يتجسسوا عليه، فإن من الواضح أيضاً أنه انطوى على محاولة لتطبيع الإتصالات مع إسرائيل.

فالإسرائيليون يُصورون فى المسلسل كفاسدين أحياناً (الرجال) أو منعدمى الأخلاق (كل النساء فى المسلسل يقعن فى غرام رأفت الهجان، حتى المتزوجات منهن)، لكنهم طبيعيون بوجه عام بل وجذابون، كما فى حالة النساء. وقد قام بأداء أدوار الإسرائيليين ممثلون مصريون محبوبون جيدو المظهر. ويحيى البطل أصدقاءه الجدد بإستمرار بعبارات مثل "شالوم" و"مازال توف". وأدى إستخدامه لهذه التعبيرات إلى أن يتعلمها الأطفال والبالغون فى كل أنحاء مصر. كذلك ملأ المسلسل رؤوس الناس، على حد تعبير رسم كاريكاتورى نشرته "روز اليوسف"، بحشد من الأسماء لم تكن مألوفة فى السابق مثل "تشارلى"، و"دافيد" و"ياكوف"و"كوهين" و"ليفى"، وغير ذلك.

ولم يكن غريباً والأمر كذلك ألايجد الرقباء شيئاً ذا بال يمكن الإعتراض عليه فى سيناريو المسلسل، ولهذا لم يطلبوا سوى إدخال تعديلات طفيفة بناء على طلب المخابرات المصرية.

أما فيما يتعلق بالإسلام، فإن أجمل مافي المسلسل هو الطريقة التى يؤكد بها أن الإسلام يشكل ركناً أساسياً فى هوية البطل المصري بالرغم من أنه لايحيا حياة متدينة. ففى إسرائيل يظهر بإستمرار وهو يشرب النبيذ مع الوجبات ويلعب القمار (للحصول على الأسرار)، بل أنه يذهب بإنتظام- بالنظر إلى أنه دخل إسرائيل بوصفه يهودياً مصرياً- للصلاة في المعبد.

لكن مشهدين مؤثرين يعلنان عن هويته الإسلامية. الأول فى أعقاب وفاته مباشرة: فقد أُعد جثمانه للدفن وأُسجى داخل التابوت، ولم يتحمل ضابط المخابرات الذى كان مسئولاً عنه فكرة أن يُدفن جثمان رأفت بالطريقة اليهودية وألايحضر أى مصرى مراسيم دفنه، ومن ثم طار إلى أوربا وتنكر فى هيئة حاخام، ونجح فى الوصول إلى المنزل فى وقت كان الجميع فى الخارج. وبينما هو يجلس أمام التابوت قام بخلع حذائه، كما يفعل المرء عندما يدخل للصلاة فى المسجد، وأخرج من جيب صديريته نسخة من القرآن، وأخذ يتلو، والدموع تنهمر من عينيه، الآيات المناسبة للصلاة على الموتى فوق جثمان البطل.

وسوف نرى هذا الضابط يبكى أيضاً فى حلقة أخرى من المسلسل، والتى اكتشف فيها ذات يوم فى وقت متأخر من الليل، ولأول مرة ملف العميل رقم ٣١٣ ومن ثم وجود رأفت داخل إسرائيل. ورغم أن الضباط الآخرين فى الجهاز فقدوا الإيمان برأفت وبجدوى مهمته فى إسرائيل لأنه لايرسل معلومات ذات قيمة، فإن هذا الضابط الشاب الذى يخوض فترة تدريبه يتأثر كثيراً بما وجده من أوراق داخل الملف. ويقرر أن يأخذ على عاتقه مسئولية متابعة الجاسوس الشاب. وعندما يفتح الملف يجد مظروفاً كُتب عليه "يُفتح بعد وفاتى". ويبدأ فى قراءة الرسالة المطوية داخل المظروف، ونسمع صوت رأفت يكرر خلفه: "بسم الله الرحمن الرحيم. إنا لله وإنا إليه راجعون". تلك هي مشيئة بطلنا، أن يتم تنفيذها إذا لم يعد حياً إلى أرض مصر الحبيبة. وفى صوت منكسر تصاحبه موسيقى حزينة فى الخلفية، يأخذ رأفت فى ذكر المبالغ التى يطلب تسليمها لكل فرد من أفراد أسرته، حتى هؤلاء الأشقاء الذين أساؤوا معاملته بعد وفاة أبيه. وينهى رسالته، وقد أصبح صوته الآن مختلطاً بالنشيج، بشهادة الإيمان: " وبهذا أكون قد كفرت عن ذنوبى أمام الله، بعد أن ضحيت بكل شئ فى خدمة الوطن العزيز. الله أكبر، والمجد لمصر، أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله".

إن البطل، فى هذه الوثيقة، يربط ربطاً وثيقاً بين الوطنية والهوية الإسلامية. ومن ثم يؤكد المسلسل أن هؤلاء الذين ينخرطون اليوم فى الحركات الإسلامية الأكثر تطرفاً، وربما أيضاً وعلى نحو ضمنى إخوانهم الذين أُعتقلوا خلال الحقبة الناصرية، لامبرر لديهم لإتهام حكومتهم العلمانية بأنها لاتتحلى بهوية الإسلام. وعلى ذلك يمكن النظر إلى هذا المسلسل على أنه جزء من الجهد الساعى لإستعادة الهوية الإسلامية للوطنيين العلمانيين، ذلك الجهد الذى تُعد وسائل الإعلام التى تهيمن عليه الدولة إحدى الأدوات الفاعلة فيه.

مواجهات التسعينات

أصبحت المواجهات العنيفة بين الجماعات الإسلامية المتطرفة وقوات الحكومة، منذ بدأت عام ١٩٩١، حدثاً متكرراً بصورة مثيرة للإضطراب والقلق العام. وبرغم شجب قطاعات واسعة من الجمهور العام للأساليب العنيفة للجماعات الإسلامية، وخاصة عندما تلحق حوادث العنف الضرر بأشخاص أبرياء تصادف وجودهم فى ساحة المواجهة بين الشرطة والمتطرفين، فإنها لم يبد تعاطفاً خاصاً مع الحكومة. فقد أدى الإدراك العام بعجز الحكومة عن حل مشاكل مصر جنباً إلى جنب مع مشاعر القلق إزاء الإجراءات القاسية المُتخذة ضد الإسلاميين، بما فى ذلك حملات الإعتقال الواسعة "للمتطرفين" ثم إعدام أعداد منهم، إلى إبقائهم فى موقف التحفظ تجاه النظام الحاكم.

كذلك انطوت التسعينات، فى الوقت ذاته، على تحول فى تعامل وسائل الإعلام مع الإسلاميين. فإلى جانب إستمرار إستبعادهم من حقل إنتاج الأعمال التليفزيونية، لم يعد موقف التجاهل من جانب الإعلام تجاههم قائماً. والأكثر إثارة فى الأمر هو أن حاجز الصمت الذى التزمته إزاءهم المسلسلات الشعبية قد تم إختراقه. فبعد أن كان يصارع مع الرقابة من أجل مجرد السماح له بمشهد يصور مسجداً فى تأريخه لفترة السبعينات- فى الجزء الثالث من مسلسله الشهير "ليالى الحلمية" والذي كتبه عام ١٩٩٠- استطاع عكاشة في الجزء الرابع من المسلسل أن يورد حبكة ثانوية تدور حول "متطرف دينى".

ولم يكن مستغرباً ألايقدم المسلسل ذو الطابع الوطنى العلمانى متطرفه الدينى من منظور إيجابى، فهو شخص تكتنف علاقته

بوالديه المشاكل إذ أنه ابن لشخص طيب تورط فى زيجة ثانية (سرية) وأنجبه منها. ومات الأب والأبن طفل صغير. ثم تخلت أمه عنه وقامت على تربيته زوجة أبيه الأولى وعمّته. وتحت تأثير جماعة إسلامية تحولت شخصيته من طفل صغير وديع إلى شاب سريع الغضب وعدوانى يهين زوجة أبيه لأنها تعمل خارج المنزل ويتوعد أمرأة شابة أخرى لأنها لاترتدى الحجاب. ثم يصبح اكثر انخراطاً في نشاط جماعته فى المسجد قبل أن يختفى بصورة مفاجئة. وعندما يعود للظهور نراه هارباً يدق باب زوجة أبيه راجياً أن تخبئه من أعين الشرطة. ويعترف بأنه قتل شخصاً أثناء عملية سرقة لمحل مجوهرات، بعد أن أقنعه قادته فى الجماعة أنه لا ضرر من السرقة باسم الإسلام من أجل قضيتهم، لكنه لم يقصد القتل.

وعلى الرغم من شخصيته الكريهة، فقد صوره المسلسل مع ذلك بقدر من التعاطف، بوصفه أحد أفراد جيل ضل طريقه لأنه وجد نفسه وسط مجتمع فاسد لا مُثُل فيه، ووسط بلد مفتقر للروح الوطنية وبلا رسالة أو أدوار يكرس الشباب نفسه لها. وفى النهاية يقتنع الشاب بأنه سلك الطريق الخطأ، ويتيقن من حب زوجة أبيه له، ويسلم نفسه للشرطة.

ولا ريب أن التصوير السلبى لشخصية المتطرف قد لقى إقراراً من مسئولى الرقابة، الذين يحرصون على أن يأتى الإنتاج الدرامى مواكباً للتوجهات الحكومية، على أن الهدف الحقيقى للنقد الذى يقدمه مسلسل "ليالى الحلمية"، شأنه شأن الأعمال الدرامية الجادة الأخرى المنتجة فى الثمانينات، كان الفساد المتفشى فى دوائر رجال الأعمال ومنظمى المشاريع فى فترة مابعد عبد الناصر.

وقد جاءت المسلسلات المُنتجة بعد "ليالى الحلمية"، وبعد أن احتدمت موجة العنف، أقل مواربة وأكثر صدامية تجاه "المتطرفين". وبدا أن هدفها هو إدانة المتطرفين بإظهار أنهم ليسوا مجرد أشخاص غُرر بهم بل ومتاجرين بالدين أو عملاء للقوى الخارجية أيضاً، ومرة أخرى كان "ليالى الحلمية" هو أول من مهد الطريق بتصويره لشخصية المحتال العجوز الذى خرج من السجن بلحية طويلة وجلباب أبيض، مظهراً توبته وعودته إلى التمسك بفضائل الإسلام. ويخفى هذا السلوك المتصنع لذلك المخادع البدين، والذى كان مخبراً فى الزمان الغابر للإنجليز فى القناة، ثم عمل فى تهريب المخدرات بل ويمكن صاحبه من ممارسة أشكال جديدة من التعاملات التجارية المنعدمة الضمير (النصب على الناس فى عمليات توظيف الأموال) والرغبات الشخصية المشينة (محاولاً إستخدام ثروته فى إقتناء زوجة جذابة صغيرة السن).

على أن المحاولات الأكثر سفوراً لإدانة الإسلاميين تتابعت بعد عام أو نحو ذلك فى مسلسلات مثل "اسطبل عنتر" والذى يلعب فيه الممثل الكوميدى نفسه دور قائد دينى يجمع حوله جماعة من الشبان الصغار الباحثين عن إجابات وعن مجتمع جديد. ودون علم منهم، كان يعمل لحساب شخص ما يرتبط بالإسرائيليين.

وفى غضون تلك الفترة بدأ صفوت الشريف، وزير الإعلام الموجود فى الوزارة منذ فترة طويلة، يدلى بتصريحات حول الأهمية البالغة لإستخدام الإعلام فى مواجهة "الإرهاب". والشريف هو نفس المسئول الذى وجهت إليه الرسائل المفتوحة التى سبقت الإشارة إليها فى مجلة "الإعتصام" الناطقة بلسان الإخوان المسلمين. وقد أصبح هو نفسه هدفاً لإحدى عمليات "الإرهاب" إذ أُطلق عليه الرصاص فيما أُعتبر محاولة لإغتياله. وأفلت من المحاولة بإصابة فى يده، لكنه أخذ يظهر بعد المحاولة فى مؤتمرات صحفية ومقابلات فى التليفزيون وفى صور فوتوغرافية منشورة فى الصحف بيده الملفوفة بضمادة داعياً بحماس متجدد ومضاعف لإستخدام الإعلام فى محاربة الإرهاب.

وبدأت تظهر فى الصحف مقالات تتحدث عن مسلسلات درامية فى مختلف مراحل الإنتاج موضوعها الأساسى هو التطرف الدينى، أو تصف سيناريوهات تنتظر الإنتاج أو تصريح الرقابة، أو عن مسلسلات فى طريقها إلى العرض (على الشاشة الصغيرة) لاقى منتجوها صعوبة فى العثور على ممثلين وممثلات يقبلون أداء أدوار فيها. ووصف أحد هذه المسلسلات (وهو مسلسل "هالة والدراويش") فى العناوين الرئيسية بأنه أول مسلسل يتصدى بصورة مباشرة لموضوع الإرهاب.

لقد ذَهبُت فيما سبق إلى أن إستراتيجية المنتجين العلمانيين بالتليفزيون فى الثمانينات تمثلت فى الإصرار على أن الإسلام مسألة تتعلق بالإيمان الشخصى للأفراد، وليس حلاً لمشكلات مصر أو دليلاً لمستقبلها السياسى. أما فى مسلسلات التسعينات فمن الواضح أن إستراتيجية جديدة قد تم تبنيها. ففى المسلسل الرئيسى المعروض خلال شهر رمضان عام ١٩٩٤- مسلسل "العائلة"- تمثّل تكنيك السرد فى إثارة مفاهيم واقعية، وصحيحة، وحاسمة للإسلام في مواجهة القراءات والتفسيرات المغلوطة للمتطرفين الإسلاميين المفتقرين للثقافة الدينية الحق.

تدور أحداث المسلسل حول حوارات عن التفسير الصحيح للإسلام بين ناظر مدرسة عقلانى التفكير ومتطرف دينى من أصول طبقية متدنية.

وقد تكرر هذا التصوير لأفراد الطبقة الوسطى، بل والطبقة العليا، من المصريين بوصفهم أناساً متزنين، ومخلصين، ووطنيين فى مقابل المتشددين المشوشى الذهن ذوى الأصول الطبقية الدنيا والمُخدوعين من قبل قادة سوداويى الفكر، فى فيلم كبير عُرض فى نفس العام أنتجه ولعب بطولته النجم الكوميدى المصرى الأشهر عادل أمام. وكان عادل أمام قد لعب قبل ذلك بطولة فيلم "الإرهاب والكباب" والذى بدأ بالسخرية من الإسلاميين المتشددين من خلال شخصية البيروقراطى الداعى للتقوى والذى يستغل أداءه لصلواته فى التهرب من أداء عمله اليومى. على أن فيلمه الجديد، "الإرهابى"، ذهب إلى أبعد من ذلك بكثير فى الهجوم على المتشددين. وقد أثار غضب العديد من تلك الجماعات وتم حظر عرضه فى الأردن. وحتى مؤيدى الحملة الإعلامية الحكومية ضد الإرهاب أنتقدوا إفتقاره للجودة الفنية.

وفى ضوء التأييد العام للتدين الفردى، أصبح من النادر الآن أن تُصاغ المناقشات والآراء بلغة علمانية مكتملة. ففى اللقاءات التى أُجريت معه عام ١٩٩٣، أكد وزير الإعلام أن مكافحة الإرهاب إنما هى وسيلة للدفاع عن الدين الحق. وذكر أن على الإعلام أن يستخدم أسلحة الديمقراطية والحرية لكنه أكد أيضاً أنه يجب أن يستخدم قبل كل سلاح الإيمان بالله فى سعيه لأداء مهمته الحقة. ووصف هذه المهمة بأنها، مثلما وصفها المخرج محمد فاضل فيما سبقت الإشارة إليه، القضاء على كل أشكال الأمية، الثقافية والمهنية، والدينية بوجه خاص.

خلاصة:

على الرغم من إستبعادهم من دائرة الإنتاج الإعلامى الرسمى وتصويرهم فى المسلسلات الشعبية تصويراً سلبياً، منذ بداية التسعينات على الأقل، فربما كان للإسلاميين مع ذلك تأثيرهم فى التليفزيون المصرى، لا من خلال تشجيعه على بث جرعة أكبر من البرامج الدينية فحسب (غير المثيرة للجدل نسبياً والمفيدة فعلياً فى إتاحة الفرصة للدولة ولأجهزة إعلامها لإكساب نفسها طابع الصوابية الدينية)، بل أيضاً من خلال جعل المسلسلات والبرامج الدرامية أكثر محافظة من الوجهة الإجتماعية. ولقد أصبح واضحاً للجميع أن حبكات المسلسلات الحالية تتجنب ألوان المشكلات والمآزق ذات الطابع المعنوى والجنسى التى حفلت بها الأفلام المصرية فى الفترات السابقة.

ومن المؤشرات الصغيرة الأخرى على تلك التغيرات مايعكسه الموضوع الصحفى التالى: فى يونيو ١٩٩٣، وبعد حادث مروع انفجرت فيه قنبلة فى أحدى الضواحى الفقيرة المزدحمة بالسكان وقتلت عدداً من طالبات المدارس، أوردت مقالة صغيرة عنوانها "بتعليمات من الوزير: ممنوع وضع الماكياج" شيئاً لافتاً للنظر. فقد أصدر صفوت الشريف وزير الإعلام تعليماته بأن على مذيعات التليفزيون أن يضعن ماكياجاً خفيفاً وأن يحجمن عن إرتداء أى ثياب ذات ألوان زاهية أو براقة. وذلك- وكما أخبر طاقم العاملات فى التليفزيون- لكى نظهر تعاطف مقدمى البرامج مع أسر ضحايا الإرهاب. كذلك أعلن الوزير أن الموضوعات التى ستُطرح للنقاش فى التليفزيون خلال الشهور القادمة ينبغى أن تتماشى مع "المزاج العام للشارع المصرى".

والواقع أنه من الصعب تفسير دوافع الوزير المصرى. فهل كان السبب الذى ذكره هو السبب الحقيقى؟ وهل كانت هذه التعليمات جزءاً من الحملة لعقد تحالف بين الإعلام والشعب ضد الإسلاميين؟ أم أنها يمكن أن تُقرأ أيضاً على إنها نوع من المهادنة مع الإسلاميين من خلال محاولة "إصلاح" التليفزيون بحيث لايصبح بعد ذلك هدفاً لعداوتهم؟ صحيح أنه بما أن إرتداء ملابس محتشمة والظهور دون ماكياج هو فى واقع الأمر إحدى الوسائل التى تعبر عن حداد المرأة فى مصر، فإن هذه الدعوة لتخفيف تجمُّل المذيعات و"تحشيم" مظهرهن يمكن أن تمثل شكلاً من أشكال المواساة لأسر الضحايا وتكتيكاً لإقناع المشاهدين بتعاطف تليفزيون الدولة، لكنه من الصحيح أيضاً أن المغالاة فى إرتداء الثياب المتحررة والماكياج المسرف من جانب مذيعات التليفزيون قد تم شجبه وخاصة فى الصحافة الدينية، حيث هوجمت المذيعات بوصفهن أدوات لإثارة الفتنة، تماماً كما هوجم الرقص "الخليع" فى إعلانات التليفزيون بوصفه إفساداً للأخلاقيات الإجتماعية. فإذا ما استطاع صفوت الشريف أن يفرض هذه القواعد الجديدة فيما يتعلق بثياب مذيعات التليفزيون، تماماً مثلما اضطر إلى أن يعلن للرأى العام عن معارضته للإعلانات التى تنتهك التقاليد الأسرية، فإن ذلك سيمثل خطوة صغيرة فى إتجاه إحتواء مجموعة القيم التى تجعل البرنامج الإسلامى، فى جوانبه المعتدلة، موضع قبول عند قطاعات واسعة من الناس فى مصر.

حوار مع مراسل صحفى عربى فى واشنطن

السياسة والإعلام فى العالم العربى

هشام ملحم هو مراسل جريدة "السفير" البيروتية فى واشنطن. عاش ملحم، وعمل فى واشنطن منذ عام ١٩٧٦. وقد أجرى جو ستورك والى اثيلستون هذا الحوار معه فى سبتمبر ١٩٩٢

نحن العرب مازلنا نفتقر إلى معرفة الكثير عن بعضنا البعض

= ما هى السمات البارزة لبنية السلطة أو "القرار" فى وسائل الإعلام العربى؟ من هو المسيطر داخلها؟ من الذى يحدد توجهاتها؟

* أى تعميم هو إشكالى بطبيعته. لقد بدأ اشتغالنا بالصحافة فى لبنان وسوريا ومصر منذ ما يزيد على القرن. وذلك هو السبب فى أن اللبنانيين والمصريين والفلسطينيين أصبحوا العنصر السائد فى الصحافة العربية.

ومنذ الحرب العالمية الثانية، أصبحت المنافذ الإعلامية الرئيسية وكل وكالات الأنباء تدار على يد الدولة. وقبل الغزو العراقى للكويت، لم

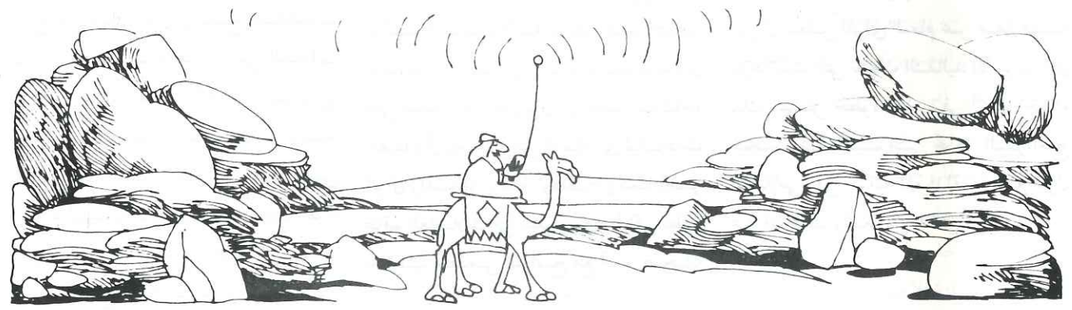

تكن وكالة الأنباء الكويتية تديرها الدولة مباشرة مثلما هو الحال فى العراق أو السعودية أو سوريا. لكن كانت هناك سلسلة من التعليمات، وكانت تنتهى عند قصر الأمير.

وقد خففت عمليات الانفتاح الديمقراطى الأخيرة فى الأردن، واليمن، وفى الجزائر منذ فترة وجيزة، من الرقابة ووسعت الحدود المتاحة للتعبير الحر، لكن حتى فى تلك التجارب مايزال أمامنا طريق طويل لنجتازه.

أما فى لبنان فالصحافة تقوم على التعددية. هناك قوانين للرقابة، والعديد من الصحفيين تعرَّض للسجن أو للمضايقة، وعدد محدود منهم قُتل، لكن الصحافة اللبنانية تعكس فى النهاية اتجاهات تعددية. وأغلب الصحف فى بيروت مملوكة ملكية خاصة، لكنها حظيت بتمويل من دول خارجية، وأحياناً من بعض الأفراد الأثرياء.

= من على سبيل المثال ؟

* فى السبعينات كان العراقيون والسعوديون يتنافسون على السيطرة على الصحافة العربية. فبعد الارتفاع الكبير فى أسعار النفط، أصبح لديهم المال الكافى للتأثير على، وشراء، منافذ اعلامية عديدة فى العالم العربى وفى أوروبا أيضاً. وفى أعقاب اندلاع الحرب الأهلية فى لبنان، ترك العديد من الاصدارات الصحفية بيروت وانتهى بها الأمر إلى الصدور من باريس ولندن. وقبل فترة الازدهار النفطى، كان الحديث عن الصحافة العربية يعنى فى الأساس الحديث عن القاهرة وبيروت، وعن الكويت الى حد معين. أما بعد ذلك فكُنت ترى كماً هائلاً من الاصدارات الصحفية فى السعودية، والكويت، والامارات، والبحرين، إن المال أصبح متوفراً لديهم لتأجير الكفاءات اللبنانية، والفلسطينية، والمصرية. وفى الوقت الحاضر أصبح للعديد من الجرائد والمجلات الخليجية مكاتب ومراسلين فى أوروبا، وفى الولايات المتحدة.

والخط السعودى هو السائد فى الصحافة العربية التى تصدر فى أوروبا. خذ على سبيل المثال، جريدة "الحياة" من زاوية المعايير الانتاجية تعد "الحياة" صحيفة حديثة للغاية - فهى تُصفّ وتُجهَّز وتُطبع باستخدام الكومبيوتر والأقمار الصناعية وهى مملوكة للأمير خالد بن سلطان.

وداخل السعودية، تقوم الدولة أساساً بتعيين المحررين. بإمكانك أن ترشح أى شخص، لكن التصديق يأتى من وزارة الإعلام. والنشر يمكن أن يوقف، والمحرر يمكن أن يوضع فى السجن - وهناك عديد من الحالات وقعت بالفعل. فقد تم الإبعاد الفورى للعديد من المحررين اللبنانيين والفلسطينيين، الذين تجاوزوا الحد المسموح.

= لكن الصحف الصادرة بالانجليزية هناك تختلف، أليس كذلك؟

* **هناك أشياء يمكنك أن "تفلت بها" فى الصحف الصادرة بالانجليزية، لكن ليس فى الصحف الصادرة بالعربية.** ومعظم الصحف الصادرة بالانجليزية فى السعودية موجهة إلى المغتربين المقيمين فى السعودية : الهنود، والفلبينيين، والباكستانيين، والأمريكيين.

= كيف أمكن للسعوديين أن يسيطروا على "الحياة"؟

* تأسست "الحياة" على يد كامل مروة فى بيروت، وفى عقد الستينات كان ينظر إليها على أنها موالية للسعودية. وكانت صحيفة انتقادية لاذعة، واسعة الانتشار. ثم تم اغتيال كامل مروه، فورثها عنه أبناؤه.

وتوقفت "الحياة" عن الصدور أثناء الحرب اللبنانية. ثم فكر جميل مروه فى استئناف اصدارها. وهناك رواية تقول إنه مُوِّل من قبل السعوديين من أجل تجديد الصحيفة. ثم قدم الأمير خالد مبلغاً ضخماً من المال لتأجير ترخيص الصحيفة لمدة عشرين عاماً. ومن ثم فهى ماتزال مملوكة، بالإسم، لآل مروه. وعين الأمير خالد جهاد الخازن رئيساً للتحرير - والخازن صحفى فلسطينى كان مسئولاً عن تحرير "الشرق الأوسط" قبل ذلك بثلاث سنوات.

وقد أراد الأمير خالد استخدام الصحيفة فى المناورة من أجل النفوذ السياسى فى المملكة. و"الحياة" توزع الآن فى السعودية. وفى بداية هذا العام نشأت مشكلة عندما اختارت صحيفة سعودية أخرى الملك فهد "رجل العام"، وكتب مُعلق فى جريدة الحياة عموداً - لا صلة مباشرة له بالملك فهد - ينتقد فيه مفهوم مجلة "تايم" عن "رجل العام". فشعرت الحكومة أن ذلك المقال ينطوى على نوع من الاستهانة بالملك، ومن ثم منعت جريدة "الحياة" من دخول السعودية لفترة عشرين أو ثلاثين يوماً.

= تعتبر "الحياة" الآن الجريدة الأهم بين الصحف العربية؟

* بالتأكيد. فهى جريدة يقرؤها المثقفون وأفراد الطبقة المتوسطة.

= كانت "الأهرام" ذات يوم تُقرأ على

نطاق واسع فى مختلف أنحاء العالم العربى.

* هى الآن صحيفة "مصرية" فى الأساس. "الحياة" صحيفة أكثر تطوراً وأغنى مادةً.

= إلى أى مدى ؟

* من زاوية التغطية الصحفية والإخبارية الصريحة فإن بعض الموضوعات يمكن أن تنشر فى "الحياة" ولا تنشر فى الصحف داخل السعودية. وفى "الحياة" تجرى مناقشة القضايا الأصولية الاسلامية واليسارية من جانب كُتاب الأعمدة والكُتاب الذين ينشرون فى "الحياة". ولايبدو التأثير السعودى ظاهراً للوهلة الأولى.

= لكنك لن تجد أى إشارة إنتقاد مباشرة للسعوديين، أليس كذلك؟

* لا. وفى السبعينات والثمانينات، نادراً ما كنت تقرأ انتقاداً مباشراً للسعودية، فيما عدا صحافة بيروت وصحف المعارضة فى مصر. وخلال فترات التوتر بين العراق والسعودية، كانت الصحف المملوكة للعراق تهاجم السعوديين ومنافذهم الإعلامية فى مصر، لكن ذلك كان أمراً نادر الحدوث، وكان الناس يدركون أنه هجوم موعز به من بغداد. ومن ثم فقد كان السعوديون فى مأمن من حملات الهجوم المباشر لفترة طويلة. ولقد استثمروا قدراً كبيراً من النفوذ، ،والأموال والجهد للسيطرة على ما يكتب عنهم فى العالم العربى - أكثر من أى جهة حكومية أخرى باستثناء العراق.

والواقع أن النشر فى الغرب لم يكن يعنى قدراً أكبر من الحرية. فأغلب الاصدارات الصحفية كانت تمولها حكومات عربية، وكان عليها أن تعمل داخل إطار التقييدات المعتادة لكى توزع أعدادها داخل العالم العربى.

= كيف تصف كصحفى محترف طبيعة العمل فى الصحافة العربية؟

* إذا كنت تعمل فى محطة إذاعية ليست مملوكة لحكومة عربية (فلنقل راديو مونت كارلو، القسم العربى) فلن تتعرض للتقيدات نفسها التى نتعرض لها نحن الذين نعمل فى اصدارات صحفية فى البلدان العربية. وأتذكر الآن حادثة وقعت عام ١٩٨٩، عندما أقام العراقيون عرضاً جوياً كبيراً. فقد سقطت طارة مقاتلة مصرية فى وضح النهار، وضل الطيار طريقه أثناء هبوطه الاضطرارى فسقط فوق قصر صدام. وقد سمعت بالحادثة من مصدر أمريكى، وأيد مصدر أمريكى آخر الرواية نفسها. وأمضيت حوالى يوم ونصف يوم محاولاً اكتشاف ما حدث بالضبط، وكنت أعمل فى ذلك الوقت مراسلاً لجريدة القبس الكويتية - إلى جانب عملى كمراسل للسفارة البيروتية. ولم أستطع إرسال تقرير عن الحادثة إلى بيروت بسبب القتال الدائر فيها، وكنت أعلم فى الوقت ذاته أننى سأجد صعوبة فى نشره فى الكويت، ومع ذلك فقد بعثت به إلى القبس، وتكتم كل من العراق ومصر أخبار القصة، وقالت الكويت : لا نستطيع نشر التقرير.

= وهذه الصحيفة الأخيرة مملوكة ملكية خاصة؟

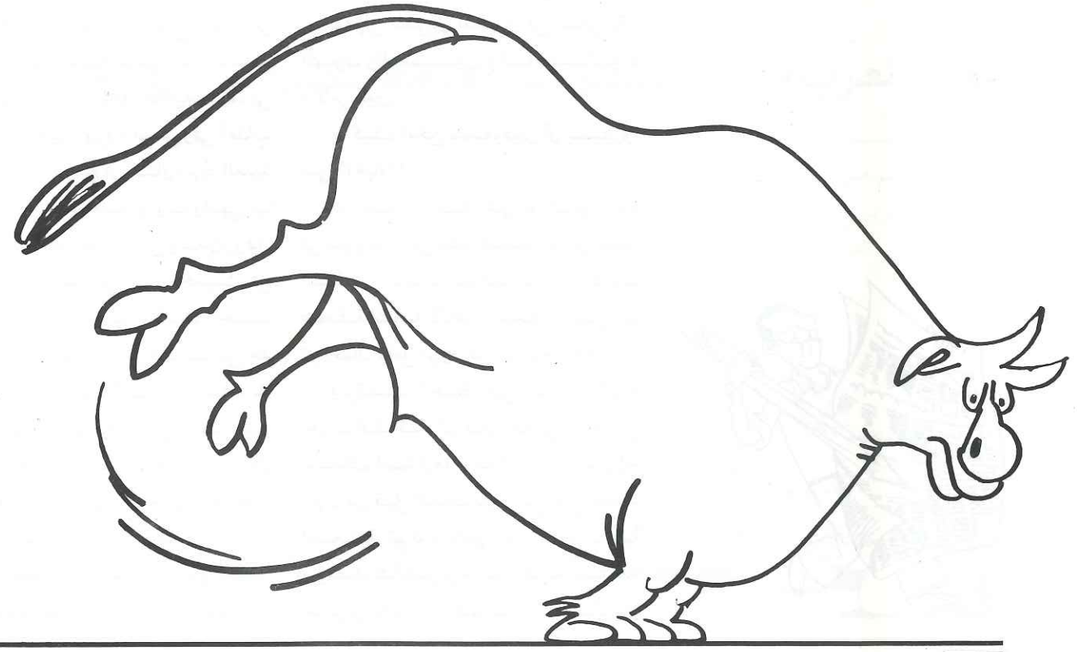

* نعم. وبعد يومين كاملين، نجحت فى إرسال تقريرى إلى بيروت، حيث نشر هناك. وفى اليوم التالى، نشرت "الواشنطن بوست" القصة. وفى أعقاب ذلك اعترفت مصر والعراق بصحة الخبر والتقطته صحف العالم العربى، بعدما اكتسب الخبر المشروعية.

= هناك نقطة التقاء بين وسائل الإعلام فى الشرق الأوسط والغرب؟

* أغلب العرب يستقون الأخبار، بوجه عام، من الإذاعات غير المملوكة للحكومة العربية، مثل الـ"بى.بى.سى" و"مونت كارلو" هناك "استرابة" واسعة النطاق فيما يتعلق بمصداقية الاذاعات المملوكة للحكومات.

= لا يقتصر الأمر على "الانتجلينسيا" وحدها؟

* أنا أتحدث عن العرب الذين إما لا يقرأون الصحف بإنتظام، أو يقرأون صحيفة واحدة فقط، لا عن الأشخاص الذين يقرأون لغات أجنبية. إن بإمكانك التقاط هذه الاذاعات "الأجنبية" من خلال الموجة المتوسطة العادية فى أى.راديو. وذلك هو السبب فى أن الراديو هو الملك فى الشرق الأوسط.

إن معظم الصحف فى الدول العربية، بما فى ذلك الصحف التى لديها مراسلون فى العواصم الرئيسية، تعتمد اعتماداً كبيراً على ما تبثه وكالات الأنباء - أسوشيتيدبرس، رويتر، وكالة الصحافة الفرنسية، وكالة الصحافة الدولية المتحدة (UPI). والتأثير الغربى فى الصحافة العربية ينبع من هذا الاعتماد - حتى بالنسبة للتقارير الصحفية المتعلقة بالعالم العربى. فليس لدينا - ربما بسبب التقييدات السياسية - تقليد أن يكون للصحف العربية مراسلون فى العواصم العربية. والقاهرة إستثناء فى ذلك، وتونس أيضاً خلال الفترة التى انتقل اليها فيها مقر جامعة الدول العربية. وحتى الصحف التى تهتم وتتابع ما هو أبعد من الأحداث اليومية - موضوع عن المرأة فى المغرب، على سبيل المثال - تستقى تلك الموضوعات من منافذ غربية.

= اليمن والمغرب العربى مكانان قلما تناولتهما الصحافة الغربية. هل ينطبق ذلك أيضاً على الصحافة العربية؟

* برغم كل ما قيل عن القومية العربية، مازلنا نفتقر نحن العرب إلى تعلم أشياء كثيرة عن بعضنا البعض. ومن بين أوجه النقد التى تتردد كثيراً فى شمال أفريقيا بخصوصنا نحن المشرقين هو أننا لا نعرف الكثير عنهم. كذلك لا يعرف أحد فى العالم العربى - بإستثناء قلة محدودة - أى شئ عن تعقيد المشكلة الكردية فى العراق، أو مشكلات جنوب السودان. وعندما اندلع القتال الدموى فى جنوب اليمن عام ١٩٨٦، حيث قتل الآلاف، كان القسم الأكبر من تغطيتنا للأحداث مبنياً على تقارير وكالات الأنباء.

وعلى ذلك فإن معرفة العرب - وأنا لا أتكلم هنا عن المعرفة المنطوية على تقييم فكرى وجهد بحثى، بل عن معرفة الشخص العربى العادى فى القاهرة مثلاً - بالحياة فى اليمن، على سبيل المثال، محدودة للغاية.

ونادراً ما تجد فى الصحيفة نفسها أصواتاً مختلفة حول القضية الواحدة. وربما كانت جريدة "السفير" - خلال الحرب العراقية الايرانية - إحدى الصحف العربية القليلة التى كنت تجد فيها تغطية أمينة وصريحة للحرب. فهيئة تحرير الصحيفة كان موقفها ضد الحرب، لكن المعلقين الأفراد وكتاب الأعمدة كانوا مؤيدين للعراق، فى حين اتخذ بعض الزملاء موقفاً متعاطفاً مع ايران.

= هل هناك أشياء تنشرها "السفير" تتخطى الحد المسموح؟

* حسناً، لقد "السفير" لسنوات ممنوعة من دخول شرق بيروت وجنوب لبنان الواقع تحت الاحتلال الإسرائيلى، ومنعنا قادة الميليشيا الذين لم يكونوا سعداء بنا من الدخول الى مناطقهم. وقتل مدير تحريرنا عام ١٩٨٥. وتم قصف مقر صحيفتنا بالقنابل والصواريخ.

= هل هناك أشياء لا تستطيع التحدث عنها بسبب الموقف السياسى لمالك

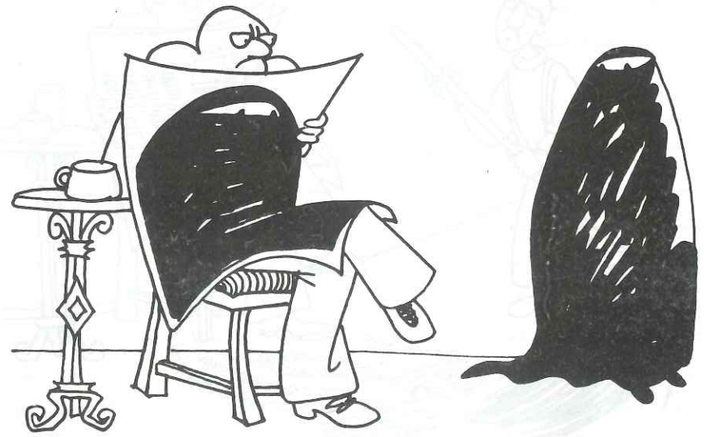

الصحيفة؟

* أنت تضعني الآن في مشكلة. إن مالك "السفير" قومي عربي من الطراز القديم، لكن الصحيفة مفتوحة لمجموعة متنوعة من الاتجاهات والرؤى السياسية. وفي موضوع الصراع العربي الإسرائيل تجد في بعض الأحيان إشارات في "النيويورك تايمز" إلى السفير على أنها صحيفة يسارية و"مؤيدة لسوريا"، ربما لأننا لا نتبع في خطنا التحريري لهجة هجوم مخففة حين يتعلق الأمر بإسرائيل. إن السفير لا تموّل من سوريا بل إنها لا توزع دائماً داخل سوريا، وخلال حرب الخليج، كان اتجاه الصحيفة معارضاً بشدة لغزو العراق للكويت، وضد خيار الحرب قبيل بدئها. ولم تكن الصحيفة توزع داخل سوريا في مناسبات عديدة نتيجة للمواقف المعارضة التي اتخذتها.

= هل اتخذت "السفير" مواقف انتقادية من سوريا؟

* نادراً ما نتكلم عن الأوضاع السياسية الداخلية في سوريا. ذلك أمر صعب، بدءاً من جمع المعلومات وحتى نشرها. وفيما يتعلق بسياسة سوريا الخارجية لن تجد في الصحيفة هجوماً مباشراً، بالرغم من بعض الانتقادات الجانبية هنا وهناك.

= من الصعب الحديث عما يجرى في لبنان دون أن نتحدث عن سوريا.

* هذا صحيح.. لكن سياسة سوريا في لبنان موضوع إشكالي بالنسبة لكل الصحف والمجلات اللبنانية. وبالنسبة لي ليست هناك أية تقييدات فيما يتعلق بما أكتبه من هنا، وان كنت أكتب في الغالب عن العلاقات السورية الأمريكية.

= هل يحصل الناس في العالم العربي على قدر أكبر من المعرفة بما يحدث نتيجة لوجود مراسلين صحفيين عرب هنا في واشنطن؟

* في حالتي، نعم. لكن يمكن أن يكون لديك مراسلين صحفيين على أعلى درجة من المهارة المهنية ويعملون لدى صحف تتدخل بكثافة في تحرير المادة التي يرسلونها.. بل يتصور المشرفون على تحرير تلك الصحف في بعض الأحيان أنهم يملكون معرفة أفضل من مراسليهم. وأنت لا تجد الكثير من المقالات المعمقة حول الكيفية التي يعمل بها النظام هنا. ويضيع كثير من الوقت في الحديث عن تأثير اللوبي العربي الإسرائيلي.

والواقع أن الطريقة أحادية الجانب التي يتعامل بها العديد من الصحف العربية مع الصراع العربي الاسرائيلي، ومع الدعم الأمريكي لإسرائيل، وقضايا مثل "الغرب ضد العرب" و"الغرب ضد الإسلام" تعزز الأساليب النمطية في معالجة القضايا. فالبعد السياسي هو العنصر الغالب في الصورة، بينما يتم تجاهل "المجتمع" بصورة ملموسة تحد كثيراً من فعالية وعمق التحليل. إن صورة أمريكا في العالم العربي كاريكاتيرية الطابع إلى حد كبير.

= تماماً مثل سطحية الصورة الأمريكية عن الشرط الأوسط؟

* بالضبط.

= ما هي درجة "وصولك"، أو قدرتك على الاتصال بكبار المسئولين في الولايات المتحدة؟

* إنهم يرون، وهو رأي ليس صحيحاً تماماً، أن القسم الأكبر من الصحافة العربية إنما هو امتداد للحكومات العربية، ومن ثم لماذا يزعجون أنفسهم باتصالات الصحفيين؟ "إننا نتحدث مع السفير، ومن ثم فما الداعي للتحدث مع الصحفيين؟".

= لقد ذكرت في حديثك معنا الأكراد وجنوب السودان.. إلى أي مدى تعاملت الصحافة العربية بصراحة مع قضايا الأقليات، وهي القضايا التي تمس بشكل مباشر المسألة القومية في العالم العربي؟

* أتصور أن تقصير وسائل الإعلام في التعامل مع مثل تلك القضايا هو أمر مخزي في أغلب جوانبه. وأقول لك بصراحة، لقد أُغفل ذكر "حَلَبْجَه" الهجوم العراقي بالأسلحة الكيماوية على تلك القرية الكردية، ولم تشاهد صورة واحدة من حَلَبْجَه في الصحافة الخليجية لسنوات، وفي العديد من الصحف العربية الأخرى. لقد

ذُكرت في بيروت، نعم. وتناولت الصحف الموضوع أخذاً بالثأر في الكويت والخليج بعد غزو صدام للكويت.

لقد رأيت دائماً "الموزاييك" الذي هو العالم العربي لا كمصدر ضعف، بل كمصدر غنى. إن الأكراد يجب أن يحصلوا على حقوقهم السياسية، والثقافية، واللغوية كاملة : ولن يكون ذلك في صالح الأكراد وحدهم بل هو في صالح العرب أيضاً، ولست أرى أي تناقض بين هذا وبين أن أؤمن بأننا نحن العرب، وإن كنا من المغرب أم من اليمن، نشترك في أشياء كثيرة. فمن قال إننا نماثل بعضنا جميعاً.

= هذا المنظور لا ينعكس في وسائل الإعلام العربية؟

* هذا صحيح، وربما لا تجد له قبولاً واسع النطاق في أوساط الانتليجنسيا العربية. ونادراً ما تجد نقاشاً جاداً في صفوف المثقفين العرب حول مشكلة الأكراد. بل ستسمع من يقول : "اننا نؤيد الحكومة العراقية مائة في المائة"، أو؛إننا لا نعلم الكثير حول الموضوع" أو" هذا لم يحدث" أو"هذه أخطاء ارتكبتها القيادة العراقية".

العديد من المثقفين العرب غضوا البصر عن تعذيب صدام للمواطنين برغم أنه علماني وقومي عربي.. فماذا كانت النتيجة؟

ومن بين أكبر فضائح المثقفين التي حدثت في أعقاب الغزو العراقي غياب أي نقاش في العالم العربي منذ الثاني من أغسطس وحتى بداية الحرب، حتى في تلك المجتمعات التي تتميز بانفتاح نسبي مثل الأردن وشمال أفريقيا واليمن بل وحتى مصر. كنت تسمع أحياناً ضجة كبرى، لكن ليس نقاشاً، ليس حواراً متبادلاً.

كانت المأساة أنه كان هناك، في تلك المجتمعات التي يتوافر فيها انفتاح نسبي، شكل آخر من الرقابة. فلقد كان ذلك صعباً في عمان، لا بسبب الحكومة بل بسبب المزاج العام كان ضد أي نقاش. كانت هناك استقالة جماعية من الاستقصاء النقدي. وهنا يمكن أن أُحمل الخطأ للمثقفين العرب أكثر من الصحفين، لأن تلك هي وظيفة هؤلاء الذين يزعمون أنهم يفكرون تفكيراً نقدياً.

= لكن لم يكن ذلك بسبب أنه لم يوجد عرب لهم تحفظاتهم - فقد كان هناك من عارضوا.

* نعم، لكنني انتُقدت لأني هاجمت صدام، واتُهمت بأنني سهلت للأمريكيين أن يهاجموا العراق - كما لو أنني كنت مهماً لهذه الدرجة. ولم يقتصر الأمر على أنه لم يكن بإمكانك انتقاد العراق في الصحافة العربية : بل كان الناس يريدون إخراسك حتى هنا. ذلك تعقيب حزين لا حول القهر والرعب السياسي في العالم العربي فحسب، بل حول ما يُمارس أيضاً على العرب المقيمين فيما وراء البحار.

فأنت لا تؤكد هويتك العربية الا عندما تكون هذه الهوية ضد الفُرس؟

ما معنى أن يستغل شخص مثل صدام القومية العربية في تبرير حرب ضد شريحة مهمة من شعبه، وهي الأكراد، أو أن يفجر أكبر كارثتين حلّتا بالعالم العربي منذ هزيمة ١٩٦٧ - الحرب ضد إيران، وأزمة الكويت - بإسم القومية العربية؟

لقد أيد العديد من المثقفين العرب ممن كانوا يتسمون في المواقف والقضايا الأخرى بالذكاء والاحترام، صدام عندما كان يحارب إيران، وغضوا البصر عندما كان يعذب العراقيين، تحت زعم أن النظام في العراق علماني وقومي عربي ويبني قاعدة صناعية.

فماذا كان الثمن : إبادة جيل كامل من العراقيين، وتكريس ثقافة من العدمية السياسية المبنية على الرعب الوحشي - ذلك هو الثمن الذي يتهربون من رؤيته.

= هل غطت الصحافة العربية العنف الذي يُمارس ضد الأقباط في مصر؟

* مؤخراً كتب مراسلنا في القاهرة حول عملية تجميع للأسلحة يقوم بها الأقباط في كنائسهم، وعن شعورهم بالخوف.

والبوسنة في هذا الصدد قضية أكبر وأخطر. فهؤلاء الناس سلافيون، وهم غربيون، وشُقر وعيونهم زرقاء، لكنهم مسلمون، ولهذا السبب يُعاملون كما البهائم. فكيف يتعاملون معنا نحن؟ وهذا ما يركز عليه الايرانيون والاسلاميون.

إننا في العالم العربي نغطي أحداث الصومال من وكالات الأنباء. ونادراً ما نستخدم واحدة من تلك الصور المروعة لما يجرى هناك. لكن التعليق أو الإشارة إلى مسئولية العرب أو المسلمين لا ترد إلا في حالات قليلة للغاية. فالمشكلة يُنظر إليها على أنها مشكلة غربية أو تخص الأمم المتحدة.

والقضية، في النهاية، ليست قضية صحافة : فما لديك في العالم العربي هم رعايا، لا مواطنون، إننا في الهامش تماماً. لقد أتى نصف مليون رجل وامرأة من الغرب وخاضوا حرباً كبيرة في العام الماضي، بينما جلس ملايين العرب على الخطوط الجانبية يتفرجون بلا حول ولا قوة على مستقبلهم المظلم وهو يتكشف أمام أعينهم. إن قرار غزو الكويت اتخذه صدام وبعض أخوته غير الأشقاء. وقرار دعوة الأمريكيين لارسال قواتهم إلى السعودية اتخذه الملك فهد وبعض أخوته غير الأشقاء. وقرار شن الحرب اتخذته القوى الغربية. ومع ذلك فالحرب وقعت على الأرض العربية وأغلب الضحايا كانوا عرباً. فأين كنا نحن؟

المال والإعلام والإجماع السياسى

على الرغم من أن معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى WINEP لم يتأسس إلا فى عام ١٩٨٥، فقد أصبح - وقت تولّى إدارة بوش الحكم فى يناير ١٩٨٩ - المنظمة غير الحكومية الأكثر نفوذاً فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط. وقد بنى المعهد نجاحه على التمويل الوافر، والشبكة المتسعة من العلاقات مع وسائل الإعلام وصناع السياسات والأكاديميين، والتركيز الدؤوب على هدفه السياساتى الرئيسى وهو الإبقاء على "العلاقات الإستراتيجية" مع إسرائيل فى قلب السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وهو الهدف الذى ينسجم تماماً مع المنطلقات المناهضة للعرب وللإسلام التى تقوم عليها الأطروحات التقليدية حول قضايا الشرق الأوسط

معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى

تمويل سَخىّ وشبكة علاقات واسعة فى خدمة أفكار عنصرية ورجعية

جويل بينين *

وخلال حرب الخليج، مثّل خبراء معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى مصادر دائمة لمقالات الصفحة الأولى والاستشهادات المسجلة للأحاديث الإذاعية السريعة التى قدمتها وسائل الإعلام. كذلك قدموا الدعم النظرى لصياغة إدارة بوش للقضايا، وأضفوا المشروعية على الحرب، وأكدوا التأثير الواسع لوسائل الإعلام، وقدموا التعليق التبريرى ما إن بدأ القتال. وعندما انعقدت مباحثات السلام العربية الاسرائيلية فى مدريد فى أكتوبر ١٩٩١، كان من بين الحاضرين مارتن إنديك، مؤسس المعهد ومديره التنفيذى، بوصفه أحد كبار معلقى شبكة "سى.إن.إن".

وكان معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى قد دشن حضوره السياساتى فى واشنطن عام ١٩٨٨، عندما أصدرت "المجموعة البحثية الرئاسية حول سياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط" التابعة له كتاب ":العمل من أجل السلام" : "استراتيجية أمريكية للشرق الأوسط". وكان النموذج الذى أعد على أساسه هذا المشروع البحثى هو الدراسة التى أصدرتها مؤسسة بركينجز عام ١٩٧٥ تحت عنوان "نحو السلام فى الشرق الأوسط"، والتى انضم بعدها ثلاثة من المشرفين على إعدادها - زبينيو بريزنسكى، وسيروس فانس، وفيليب كلوتزنيك - إلى إدارة كارتر فى مناصب رئيس مجلس الأمن القومى ووزير الخارجية ووزير التجارة على الترتيب.

على أن معهد واشنطن كان أكثر نجاحاً من مؤسسة بروكينجز. فقد انضم ستة من أعضاء المجموعة البحثية للمعهد إلى إدارة بوش : فالرئيس المشارك للمجموعة لورانس إيجلبرجر أصبح وكيلاً) ونائباً للوزير فيما بعد لوزارة الخارجية، وأصبح "دينيس روس" رئيساً لمكتب تخطيط السياسات التابع لوزارة الخارجية وأحد المساعدين الرئيسيين لجيمس بيكر فى وضع السياسات المتعلقة بالشرق الأوسط، وشغل (ريتشارد هاس) مقعد الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى، وعمل (هارفى سيشرمان) كاتباً لخطابات وكلمات جيمس بيكر، وانضم (فرنسيس فوكوياما) و(جون حنا) إلى مجموعة موظفى دينيس روس.

المعهد ينصح الإدارة الأمريكية بعدم تغيير سياستها فى الشرق الأوسط إلا إذا كان التغيير لا يمكن تجنبه

وفى كتاب "العمل من أجل السلام" حث معهد واشنطن الرئيس القادم على السعى من أجل مبادرة شاملة يمكن أن "تُعيد تشكيل البيئة السياسية، وترسخ التوازن العسكرى، وتوفر لإدارته الوسيلة اللازمة لمقاومة الضغوط من أجل استهداف تقدم إجرائى مفاجئ حتى تنضج الظروف المواتية لذلك (١) وقد تبنت إدارة بوش وصفة "إحراج الشاه**" تلك، لكن "الانتفاضة" وحرب الخليج دفعا بها إلى طوايا النسيان. ولا تعكس لتوصية السياساتية لمعهد واشنطن - ألا نقدم على التغيير إلا عندما يصبح التغيير أمراً لا سبيل إلى اجتنابه - فكراً عميقاً. لكن التطابق الكبير بين رؤية المعهد ونهج فريق بوش كفل للمعهد موقعاً محترماً وسط دوائر المؤسسة المشاركة فى صياغة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط.

وقد شكل معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، مسلحاً بإتصالاته القوية بإدارة بوش والمصداقية التى وفرها له التواجد الإعلامى الواسع خلال أزمة ثم حرب الخليج، مجموعة للدراسات الاستراتيجية مهمتها توجيه السياسة الأمريكية فى أعقاب حرب الخليج (٢) وتم تسجيل علاقات التعاون بين معهد واشنطن وإدارة بوش فى كلمة "الشكر والعرفان" الواردة فى كل من التقارير الثلاثة لمجموعة الدراسات الاستراتيجية والتى تقول إن المجموعة "استفادت كثيراً من مشاركة عدد من المستشارين فى وزارتى الخارجية والدفاع اللذين تعذر بسبب مسئولياتهم الرسمية - الربط بينهم" وبين النتائج التى توصلت إليها المجموعة. وخلال عامى ١٩٩١ و١٩٩٢ إستطاع إندايك والخبير الاستراتيجى الأول فيلو مارفن فوير ويرجر "الذى شغل قبل ذلك مواقع فى المراتب الوسطى فى البنتاجون" أن يؤمنا إجماعاً فى الرأى فيما يتعلق بآراء المجموعة يؤيد المنظور الاستراتيجى لمعهد واشنطن. وقد ضمت مجموعة الدراسات الاستراتيجية عدداً من المشاركين فى صياغة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فى حقبة ريجان : جيفرى كيمب، "منسق مستشار"* الرئيس ريجان فيما يتعلق بقضايا الشرق الأوسط داخل مجلس الأمن القومى - دوف زخليم، نائب وكيل وزارة الدفاع سابقاً - تشارلز هيل، المساعد التنفيذى السابق لوزير الخارجية جورج شولتز. كذلك شاركت فى المجموعة الدائرة الأكاديمية المعتادة لمعهد واشنطن المختصة بشئون الشرق الأوسط : دانيل بايبز، أحد المعادين البارزين للعرب ومدير معهد السياسة الخارجية اليميني فى فيلادلفيا - لورى ما يلروى، الأستاذة المساعدة السابقة للعلوم السياسية بجامعة هارفارد، والتى رأى بعض زملائها السابقين أنه كان يناسبها أكثر أن تعمل فى المخابرات المركزية وليس فى الحقل الأكاديمى - باتريك كلاوسون، أحد العاملين السابقين فى صندوق النقد الدولى ويعمل حالياً رئيساً لتحرير دورية "أوربيس" الصادرة عن معهد السياسة الخارجية.

ولا تتميز هذه المجموعة بمعرفتها الواسعة. فالانجاز الأكاديمى ليس شرطاً رئيسياً بالنسبة لمشروع معهد واشنطن. ومع ذلك فهو يستعين بالمصداقة المرتبطة بالمجتمع الأكاديمى بوصفها عنصراً مكوناً آخر فى شبكة نفوذه وتأثيره. كذلك عمل مارتن إندايك ومارفن فويروبرجر كأستاذين زائرين فى برنامج دراسات الشرق الأوسط بمعهد جونز هوبكنز للدراسات الدولية العليا. "الذى يرأسه فؤاد عجمى" وهو موقع آخر من المواقع التى غالباً ما تنطمس فيها الفوارق المميزة بين العلمية الأكاديمية وبين الدفاع عن سياسات تيارات الوسط والتيارات المحافظة.

ويتوازى الدور الثانوى للإنجاز الأكاديمى فى أنشطة معهد واشنطن مع تهميش دور خبراء المناطق نظراً لعسكرة السياسات الخارجية خلال حقبة ريجان - بوش. وخلال تلك الفترة إرتفعت الأنماط السياساتية الإستيراتيجية، المصحوبة بفهم محدود للتاريخ المحلى والثقافة المحلية فى مختلف مناطق العالم، إلى قمة الكوم البيروقراطى. وتبنى معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط لغة تلك الأنماط ورؤيتها. ومن ثم فقد نظر إلى آرائه على أنها واقعية ولا تعرف المهادنة، وتنسجم مع مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وليست مجرد مرافعة مكرسة لإسرائيل.

ولم تكن مجموعة الدراسات الإستراتيجية، شأنها شأن المجموعة البحثية الرئاسية عام ١٩٨٨، شأناً "جمهورياً" خالصاً(٤). فقد ضُمِّنت عدداً من "الديمقراطيين"، لتأمين جسر إتصال مع

* كاتب المقال محرر المراجعات بمجلة ميريب وأستاذ تاريخ الشرق الأوسط بجامعة ستانفورد.

** كما فى لعبة الشطرنج.

* أى المسئول عن اتجاه سير المناقشات.

دعوة خبراء معهد واشنطن إلى الإعتدال الإسرائيلى ترتكز على مفهوم

عسكرى للأمن والسلام.. لا يتخيل أى تعديل لهيمنة اسرائيل العسكرية

إدارتهم فى حالة إنتصارهم فى إنتخابات ١٩٩٢، وهم : ميكل ماندوباوم، مستشار السياسة الخارجية لحملة كلينتون الإنتخابية - ستيوارت أيزنشتات، عضو المجلس الإستشارى لمعهد واشنطن ورئيس لجنة برنامج الحزب الديمقراطى لعام ١٩٩٢ وعضو "مجلس "كلينتون" الاستشارى لشئون اليهود" الذى يرأسه دافيد إفشين المستشار القانونى للجنة الشئون العامة الأمريكية الاسرائيلية (أيباك)* - ستيفن سبيجال، مستشار شئون الشرق الأوسط لحملة كلينتون الانتخابية - مادلين ألبرايت، إحدى العاملين فى مجلس الأمن القومى فى إدارة كارتر والتى استضافت صالوناً دورياً حول سياسات واشنطن الخارجية "الديمقراطية" خلال سنوات حكم ريجان - بوش (٥) وهكذا هيأ معهد واشنطن لنفسه الموقع الملائم للتأثير فى سياسة إدارة كلينتون فى الشرق الأوسط أيضاً.

المحركان الأساسيان

المحركان الأساسيان لأنشطة معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى هما باربى واينبرج، الرئيسة السابقة "للمجلس الفيدرالى اليهودى للو أنجيلوس الكبرى" ونائبه رئيس لجنة الشئون العامة الأمريكية الإسرائيلية (أيباك) - ومارتن إندايك، وهو أكاديمى استرالى بدأ مسيرته المهنية فى واشنطن نائباً لمدير بأيباك، وتترأس واينبرج اللجنة التنفيذية لمعهد واشنطن وتُعد حجر الزاوية فيما يتعلق باستقرار موارده المالية ولواينبرج سجل حافل بالنشاط المكثف على كل مستويات الأغلب الأعم من مؤسسات ومنظمات المجتمع اليهودى فى الولايات المتحدة، بدءاً من رئاستها لجماعتين يهوديتين مختلفتين حتى عملها فى اللجنة التنفيذية لأيباك. وقد أتاحت إتصالاتها القوية بالأثرياء اليهود والمؤسسات اليهودية الغنية لمعهد واشنطن أن يرفع ميزانيته العاملة حالياً إلى ٢ , ١ بليون دولار (٦).

ويزود إندايك معهد واشنطن بالرؤية السياسية. ولقد استشعر الحاجة، وقد أقلقته الصورة التحزبية السافرة لأيباك، إلى وجود منظمة يمكن أن تُفهم على أنها "صديقة لإسرائيل" لكنها تنجز فى الوقت ذاته بحوثاً ودراسات معقولة حول الشرق الأوسط بطريقة واقعية ومتوازنة (٧) ووضع إندايك استراتيجية تتمثل فى تكريس إتصالات وثيقة بوسائل الإعلام وصانع السياسات فى السلطة التنفيذية، وبخاصة من لا يملكون خبرة سابقة بشئون الشرق الأوسط. وقد تفادى إسم المعهد الإشارة لإسرائيل ومن ثم بدا فى صورة المؤسسة الفكرية غير الموالية لأى طرف فى المنطقة. وكان إندايك يفضل التيكتيكات المرنة التى تمكّن المعهد من أن يقدم نفسه كطرف ذا مصداقية فى المعركة المتعلقة بالأفكار السياساتية الخارجية، وأن يبدو أقل دوجماطية من "أيباك" ولا يزعق بالصراخ إذا لم يتم تبنى توصياته. فهو معهد يضع فى مقدمة أولوياته الحفاظ على التأثير

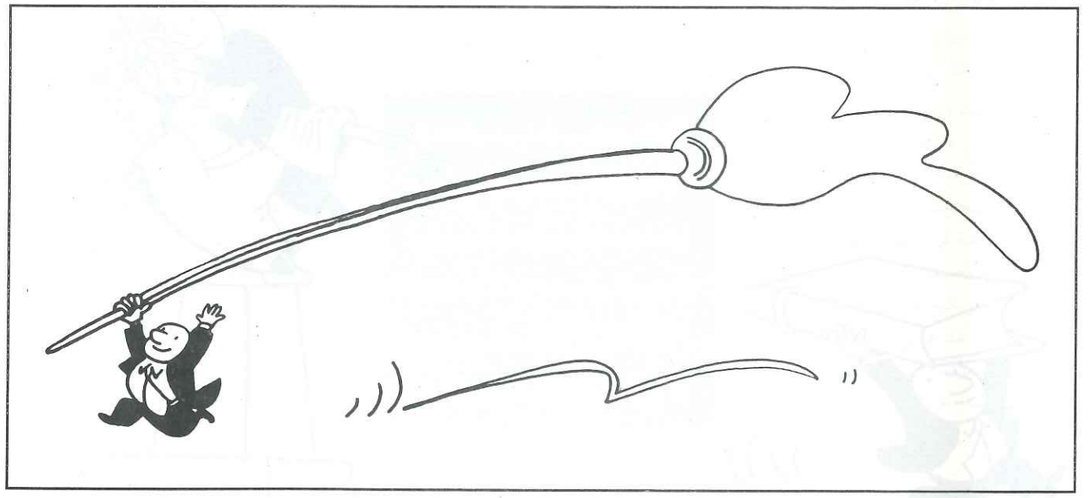

* American - Israel; Public Affirs Committee وسيشار إليها فيما يلى بالحروف الأولى "أيباك".

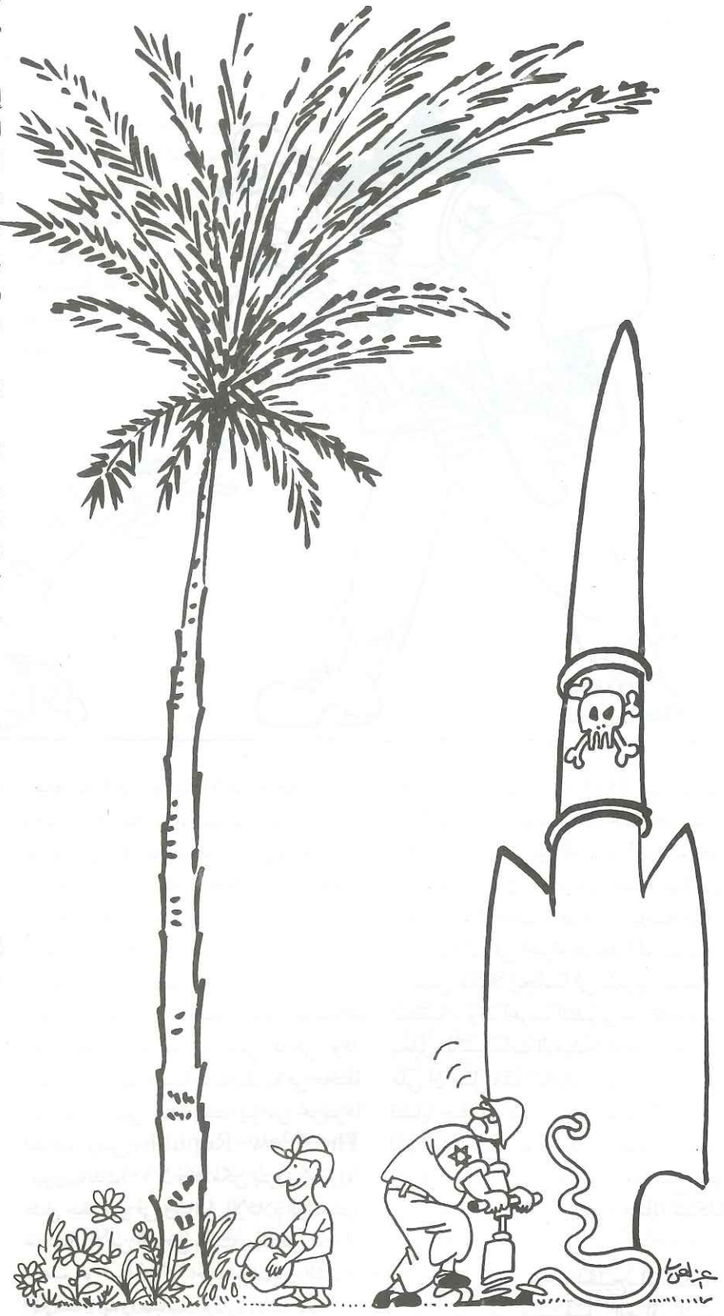

والاتصالات القوية ويركز اهتمامه كله فى هدفه الأساسى.

وقد فكر كل من وابنبرج وإندايك فى إنشاء معهد واشنطن لسياسات الشرق الأوسط بعد فترة من التوتر فى العلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى بداية الثمانينات، إذ واصل الليكود بإصرار، وقد شجعه تواضع امكانيات وزير الخارجية الكنسدر هيج، رؤيته حول إسرائيل الكبرى، متجاهلاً جهود واشنطن لجذب حلفاها العرب إلى "إجماع استراتيجى" مناهض للسوفيت. وفى ديسمبر ١٩٨١، وبعد أن وسعت اسرائيل النطاق الجغرافى لتطبيق القانون الاسرائيلى ليشمل هضبة الجولان وأكدت ضم القدس لشرقية، ألغت إدارة ريجان مذكرة تفاهم استراتيجية مع اسرائيل. وفى أعقاب غزو واحتلال اسرائيل للبنان عام ١٩٨٢، انتشرت القوات الأمريكية فى مستنقع من صنع اسرائيل. كذلك سبب رفض اسرائيل "لخطة ريجان" لحل الصراع العربى الاسرائيلى احتكاكات أخرى إضافية.

وفى وقت لاحق أصبح مسئولو وزارة الخارجية الذين برزوا فى عملية إعادة بناء العلاقة الاستراتيجية الأمريكية الاسرائيلية فى منتصف الثمانينات - بيتر رودمان، لورانس إيجلبرجر، تشارلس هيل - مشاركين دائمين فى أنشطة معهد واشنطن. وفى خريف عام ١٩٨٣، وبعد أن رفضت سوريا اتفاقية مايو ١٩٨٣ اللبنانية الاسرائيلية التى كان الوسيط فيها هو وزير الخارجية جورج شولتز ومعه إيجلبرجر ورودمان - وكلاهما يحظى بدعم ورعاية هنرى كيسنجر - شجع ذلك شولتز على إعادة توجيه السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط فى اتجاه الاعتماد على اسرائيل. وطالب رودمان، بوصفه مديراً لتخطيط السياسات بوزارة الخارجية، "بتعاون الولايات المتحدة مع اسرائيل بوصفه الوسيلة المثلى لملء فراغ القوة الواضح الآن فى لبنان (٨). وفى أعقاب قصف الثكنات البحرية الأمريكية فى بيروت فى أكتوبر ١٩٨٣،

المعهد يجرى مسحاً شاملاً لبلدان الشرق الأوسط التى تمتلك أسلحة الدمار الشامل ويغفل ذكر إسرائيل

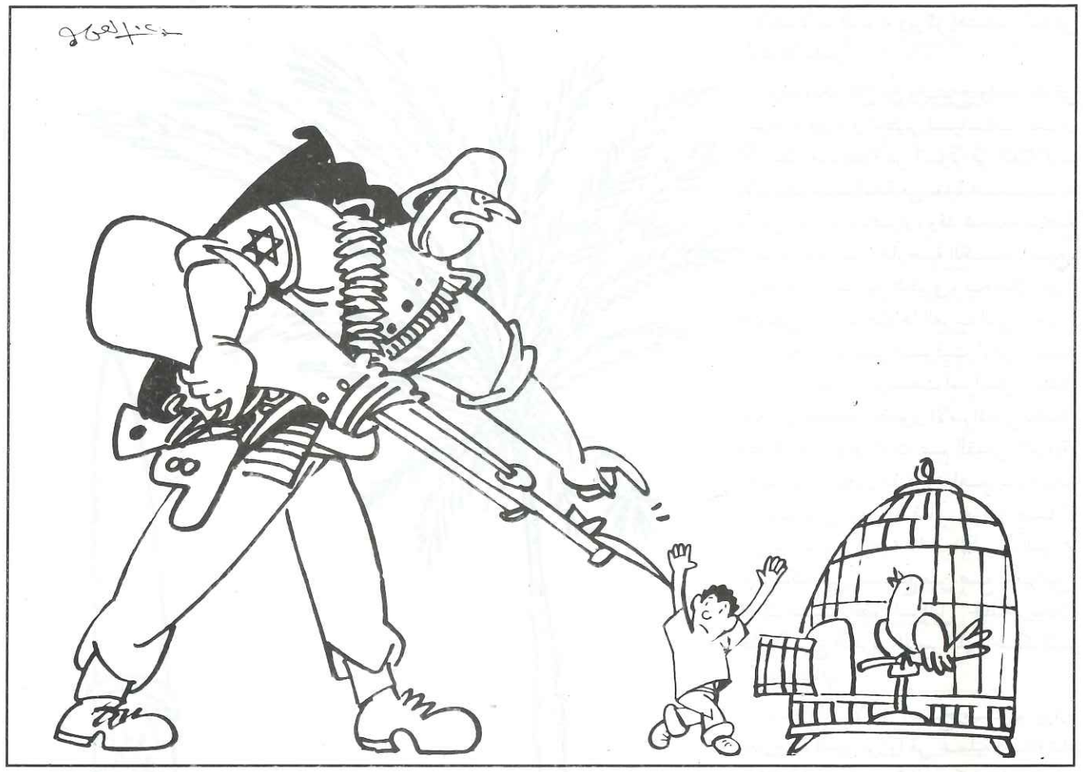

وصل مساعد وزير الخارجية إيجلبرجر إلى القد لعقد اتفاق استراتيجى جديد بين الولايات المتحدة واسرائيل.

العراق ومعهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى

منذ حرب الخليج توطدت صلة الجمهورى ليس آسبن، رئيس لجنة القوات المسلحة بمجلس النواب واختيار كلينتون له كوزير للدفاع، بمعهد واشنطن بوجه خاص مع سعيه لتكريس نفسه كمرجع معتمد فيما يتعلق بمراجعة الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط، وفى ربيع عام ١٩٩١، زار آسبن منطقة الشرق الأوسط مرتين لتقييم السياسة الأمريكية فى المنطقة، وبصحبته مارتن إنديك بوصفه مستشاره الخاص. ومنذ ذلك الحين أصبح مشاركاً منتظماً فى أنشطة المعهد.

وكانت لورى ميلروى ودانيل بايبز، خبيرا معهد واشنطن من بين الخبراء الأكثر استضافة فى وسائل الاعلام خلال أزمة وحرب الخليج، وقد شاركت ميلروى فى تأليف أول كتاب يصدر عن أزمة الخليج، والذى قال أشياء كثيرة سيئة - وصحيحة - عن نظام صدام حسين (٩). لكن ميلروى قامت، فى منتصف الثمانينات بدور فعال فى تعزيز العلاقات الأمريكية العراقية، وذكرت التقارير أنها حاولت القيام بدور الوساطة أيضاً لتحقيق تقارب اسرائيلى عراقى. وقد أفردت لآرائها مساحات بارزة فى مجلة "أوربس"، التى كان بايبز يرأس تحريرها آنذاك، وفى The New Republic "نيوريبابلك(١٠)" وقد مكن بروز "خبراء" مثل ميلروى فى وسائل الإعلام الرئيسية مستشار الأمن القومى برنت سكوكروفت أن يزعم مؤخراً أن كل خبراء شئون الشرق الأوسط" أيدوا سياسة الإدارة الأمريكية تجاه العراق قبل أغسطس ١٩٩٠ (١١).

وقد أقر تقرير المجموعة البحثية الرئاسية بمعهد واشنطن لعام ١٩٨٨ هذا الرأى. ذاهباً إلى أن السياسة الخارجية العراقية»، خلال الحرب الايرانية العراقية" أبدت عناصر من الاعتدال كان من دواعى اهتمام الولايات المتحدة أن تشجعها.. فوجود سياسة عراقية أكثر إعتدالاً، فى أجواء ما بعد الحرب، يمكن أن يمثل عاملاً إيجابياً فى تعزيز استقرار المنطقة". وقد أعرب التقرير عن قلقه فيما يتعلق "بالسياسات البغيضة" للنظام العراقى. على أن مثل هذه اللغة، وفى ضوء تجاهل قضايا حقوق الانسان فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة خلال عهدى ريجان وبوش، يمكن اعتبارها (ومن الواضح أنها كانت كذلك بالفعل) مجرد مسألة شكلية لاغير (١٢).

وفى أعقاب حرب الخليج، لم تتضمن دراسة ميلروى "مستقبل" العراق "اشارة واحدة لآرائها السابقة وقالت بدلاً من ذلك أن على الولايات المتحدة أن تتحرك بقوة

للإطاحة بصدام حسين(١٣). وخلال الحملة الانتخابية الرئاسية عام ١٩٩٣، رأت أن مهاجمة صدام حسين سوف تعزز احتمالات فوز جورج بوش بفترة رئاسة ثانية (١٤). وهكذا انقلب موقف ميلروى ومعهد واشنطن الى النقيض فيما يتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه العراق وظلا فى الوقت ذاته فى قلب الاجماع السائد فى واشنطن فيما يتعلق بالسياسة الخارجية، وهو ما يعد برهاناً ساطعاً على صدق مقولة إيريك ألتمان حول" الخبراء الذين تتعامل معهم وسائل الإعلام: "أفضل لك أن تبدو مصيباً على أن تكون مصيباً فعلاً(١٥)".

وفى وقت لاحق استغل معهد واشنطن إخفاق الولايات الولايات المتحدة فى مغازلته العراق فى معارضته لأى تقارب مع سوريا. ففى خريف ١٩٩١، وقبل إنعقاد مؤتمر السلام العربى الاسرائيلى فى مدريد، حاضر الراحل إيلى خدورى عضو المعهد، أمام جمهور صغير فى مؤسسة هوفر داخل حرم جامعة ستانفورد، حول أخطاء سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق خلال الثمانينات. وأعادت ملاحظات خدورى إلى الأذهان الحقائق المتعلقة بالعلاقة الأمريكية العراقية والتى أفاضت فى الحديث عنها الحركة المناهضة للحرب(١٦). وأعقبت حديثه مداخلة غير معلن عنها سلفاً لمارتن إنديك قال فيها إن تجربة الولايات المتحدة مع العراق لابد أن تجعل واشنطن يقظة تماماً لما تطرحه سوريا. واعتمدت مداخلة إنديك على دراسة حديثه لمعهد واشنطن أعدها دانيل بايبز تنتقد بحدة "التعامل الناعم لأمريكا مع نظام الأسد "منذ عام ١٩٨٣ وخلصت إلى أن " الوقت قد حان من أجل سياسة أكثر خشونة(١٧)".

وواصلت دراسة أصدرها معهد واشنطن عام ١٩٩٢، وأعدها مايكل إيزنشتات أحد أعضاء المعهد المتخصصين فى الشئون العسكرية والذى عمل محللاً بقسم المراقبة والاستطلاع التابع للقوة الجوية الأمريكية خلال حرب الخليج، الهجوم على سوريا زاعماً أنه على الرغم من "إقرارها بإمكانية التعايش السلمى أو... عقد اتفاقيات رسمية أو تفاهمات ضمنية مع اسرائيل "فإن سوريا لم تتخل عن هدفها النهائى المتمثل فى تدمير اسرائيل(١٨). وإقترح إيزنشتات أن تركز الولايات المتحدة على تحجيم خيارات سوريا العسكرية والسياسية لا أن توفر الحوافز لها على اتباع طريق السلام. ولم يطرح إيزنشتات للنقاش أبداً، متسقاً فى ذلك مع النهج العام لمعهد واشنطن، فكرة ان السلوك الاسرائيلى هو أحد العوامل المؤثرة فى صياغة السياسة السورية. إذ أن ذلك سوف يشير إلى عقلانية الموقف العربى ويؤدى إلى المراجعة الفاحصة لسياسة اسرائيل تجاه سوريا.

العلاقة الاسرائيلية

يتجاوز معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى مجرد كونه التعبير المؤسسى الفكرى عن العنصرية والرجعية الفجة التى تطرح نفسها من خلال منشورات مثل دورية "كومينتارى Commentary". وفى حين تجد الصحافة المعادية للعرب تمثيلاً جيداً لها فى معهد واشنطن من خلال كُتاب أعمدة مثل تشارلس كروثامر عضو كل من الجماعتين البحثيتين عام ١٩٨٨ وعام ١٩٩١ - ١٩٩٢ وناشر "نيوريبابلك" مارتن بيرتز عضو مجلس المستشارين بمعهد واشنطن وناشر "يو.إس. نيوز آندوورلدريبورت" مورتيمر زوكرمان عضو مجلس المستشارين بالمعهد، فإنها جميعاً لا تمثل المصدر الأساسى للزاد الفكرى للمعهد. فقد أفرد لاسرائيليين، خاصة من يشغلون مواقع عليا فى "مركز جافى للدراسات الاستراتيجية" فى جامعة تل أبيب جوزيف شاي فيلدمان، دوري جولد مواقع بارزة فى قائمة الأعضاء العاملين فى المعهد. كذلك منحت عضوية المعهد لزئيف شيف، المراسل العسكرى لصحيفة ها آرتس والذى يتمتع بمصادر ممتازة فى دوائر قيادات الجيش الاسرائيلى، ومن خلال مركز جافى وشيف، نشر المعهد الفكر الاستراتيجى لكبار الضباط الاسرائيليين المتقاعدين فى أوساط واشنطن.

وبالمعايير الاسرائيلية، يعد هؤلاء الناس من ذوى الآراء البرجماتية والمعتدلة فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى. ففى مواجهة الانتفاضة، أعد مركز جافى بالتعاون مع معهد واشنطن دراسة حول خيارات السلام بالنسبة لاسرائيل قال فيها إنه فى ظل ظروف معينة فان دولة فلسطينية "لن تهدد بالضرورة وجود اسرائيل" وانه سيكون من الأفضل بالنسبة لإسرائيل "أن تتفاوض مع ممثلى الفلسطينيين المرتبطين بمنظمة التحرير الفلسطينية(١٩)". ويكمن خلف هذا الاعتدال مفهوم ذو أساس عسكرى لأمن اسرائيل لا يتخيل أى تعديل لهيمنة اسرائيل العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط. ويتضح هذا النهج بجلاء فى الدراسة التى أعدها شيف لمعهد واشنطن عام ١٩٨٩ تحت عنوان "الأمن من أجل السلام : متطلبات الحد الأدنى لأمن اسرائيل فى المفاوضات مع الفلسطينيين". إذ تحدد هذه الدراسة الشروط الرئيسية التى يمكن أن تتيح لاسرائيل أن توافق على شكل مقيد لاستقلال فلسطينى. وقد غاب تماماً عن تحليله فكرة أن للفلسطينيين اعتباراتهم الأمنية المشروعة.

وخلال مؤتمر لمعهد واشنطن فى القدس، فى سبتمبر ١٩٩٢، قال اسحق رابين إنه كان يود أن تغرق غزة فى البحر، لكن حيث أن ذلك أمر مستحيل الحدوث فإن علينا أن نجد حلاً لمشكلة القطاع". وهمس أحد المشاركين الأمريكيين، وقد صدمته فظاظة رابين، لمراسل صحيفة "يدعوت أحرونوت" ناعوم بارينا قائلاً : لماذا يتميز القادة الاسرائيليون سواء أكانوا متشددين أيديولوجيين أو براجماتيين بإنعدام الضمير؟ أليس هناك أى احتمال آخر؟(٢٠)". وداخل هذا النطاق من الخيارات، يصطف معهد واشنطن إلى جانب هذا الأخير. ففى حين تردد "أيباك" كالببغاء كل الأطروحات الأيديولوجية التقديسية الخرافية الطابع لحزب الليكود فيما يتعلق بالضفة الغربية وغزة، فإن التوجه العسكرى الاستراتيجى لمعهد واشنطن يتيح مرونة اسرائيلية أكبر فيما يتعلق بقضايا الحدود طالما أمكن الحفاظ على التفوق العسكرى الكيفى لاسرائيل.

معهد واشنطن والعرب

من أجل تعزيز مشروعيته الفكرية، ضم معهد واشنطن لعضويته حداً أدنى من

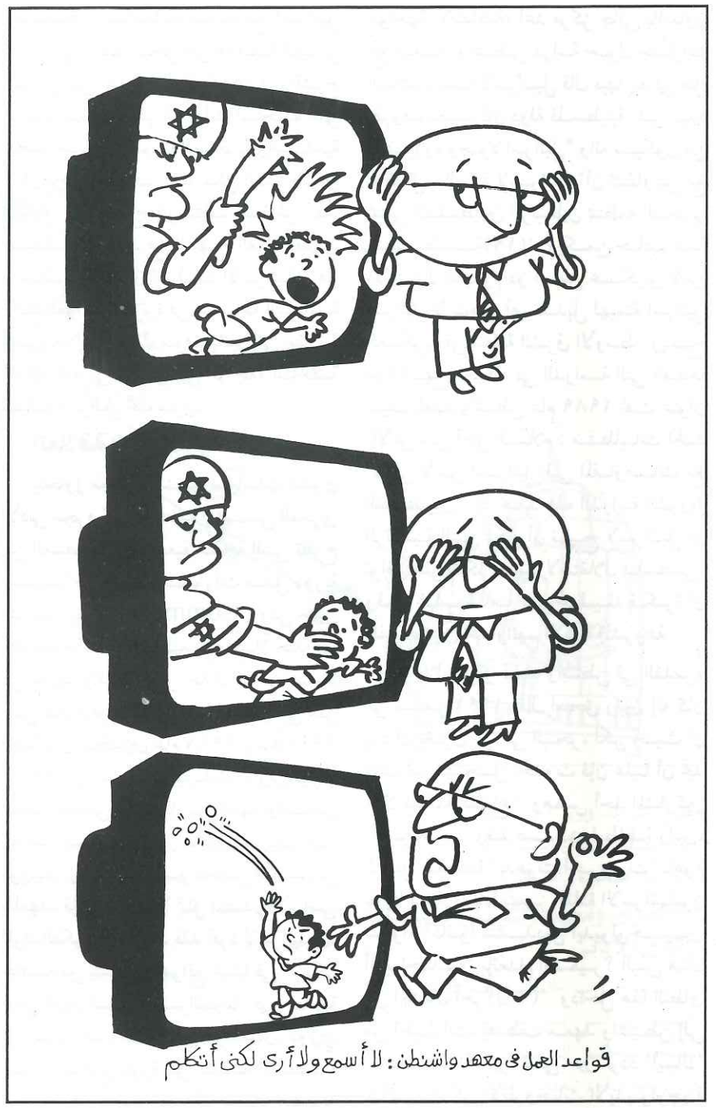

قواعد العمل فى معهد واشنطن : لا أسمع ولا أرى لكنى أتكلم

المشاركة العربية. وربما يُعَد بول جوريدينى، وهو مستشار متخصص فى الإرهاب والعنف الحضرى، المشارك العربى الأكثر انتظاماً فى أنشطة معهد واشنطن. والوحيدان من العرب المعروفين بفكرهم النقدى المستقل الذين كانت لهم صلة رسمية بالمعهد هما هشام عوارتانى، المحاضر فى الاقتصاد بجامعة النجاح فى نابلس، وسعد الدين ابراهيم مدير مركز ابن خلدون للتنمية الاجتماعية بالقاهرة.

ولم ينشر معهد واشنطن أبداً دراسة أو مذكرة بحثية لباحث عربى أو عربى أمريكى، ولا تظهر آراء العرب الا فى المنشورات الصغيرة، مثل تقارير المؤتمرات، وقد حضر بعض العرب، وتحدثوا فى مناسبات خصصت للفت انتباه صناع السياسات، والأكاديميين، والصحفيين إلى قضايا يعتبرها معهد واشنطن مهمة، لكن دورهم كان "ديكورياً" إلى حد بعيد.

ويعترف التقرير النهائى لمجموعة الدراسة الاستراتيجية لمعهد واشنطن لعام ١٩٩١ - ١٩٩٢ بأهمية السعودية ومعها مصر وتركيا، واسرائيل بطبيعة الحال(٢١). وهو ما يمثل تجديداً مهماً فى أوساط "مؤيدى اسرائيل" فى واشنطن. ومع ذلك فإن التقرير يصر على أن هذه العلاقة الاستراتيجية لا ينبغى أن تؤثر فى السياسة الأمريكية تجاه مفاوضات السلام بين العرب واسرائيل. إن على اسرائيل، للأسف أن تتكيف مع الفلسطينيين إلى حد معين، لكن على الولايات المتحدة أن لا تدافع عن الفلسطينيين، أو تُعزز سلطات منظمة التحرير، أو تقدم على أى شئ يُغير توازن القوى فى ميدان الصراع الفلسطينى الاسرائيلى.

الخطر الإسلامى

تناولت طبعة ١٩٩٢ من مناقشات الملتقى السنوى لمعهد واشنطن موضوع "الاسلام والولايات المتحدة : تحديات عقد التسعينات". وأكثر المشاركات إثارة للدهشة فى فعاليات ذلك الملتقى تتمثل فى الخطاب الرئيسى(*) الذى ألقاه جوردون أويلر مسئول المخابرات القومية لشئون العلوم والتكنولوجيا والانتشار النووى. فالمسح الذى أجراه لبلدان الشرق الأوسط "بلداً بلداً" التى تمتلك أسلحة الدمار الشامل أغفل ببساطة ذكر اسرائيل فى القائمة(٢٣)، إذ أن إدراجها فى القائمة لم يكن ليتوافق مع مناقشة للخطر الاسلامى، موضع الاهتمام الرئيسى.

وقد استهل روبرت ساتلوف، نائب مدير المعهد، كلمته فى الملتقى بتوجيه عبارات المديح لمجلة "الإيكونومست" لاعترافها أخيراً بخطورة الإسلام الراديكالى (فقط بعد أشهر من زيارة مراسلها للشرق الأوسط للمنطقة فى رحلة نظمها معهد واشنطن) ونفى

(*) بالإنجليزية Keynoteadr، وهو الخطاب الذى يعرض القضايا الرئيسية لأى مؤتمر أو ملتقى.

ساتلوف وجود أى نوايا لاطلاق "نداء هستيرى لحمل السلاح أو للدخول فى معركة، أو.. لتكريس بعبع جديد بعد الحرب الباردة". لكن تحليله اللاتاريخى المتجاهل لموجات الصعود المتواترة لنزعات الإحياء الإسلامى فى الشرق الأوسط الحديث ومقولته التى لا برهان عليها أنه لا مجال لأى تسوية بين اسرائيل والجماعة الفلسطينية الإسلامية "حماس" التى تمولها السعودية نفسها التى اعترف معهد واشنطن مؤخراً بأهميتها الاستراتيجية يبدو مؤدياً إلى ذلك الذى نفاه"(٢٤). وينطلق بيتر رودمان من منظور قريب من منظور ساتلوف.

وكما هى العادة فى مثل تلك المناسبات، قام إنديك. بتأطير المناقشة من خلال طرح ملاحظات ختامية. وقد اتخذ موقفاً أكثر اتزاناً من زملاءه الأحدث خبرة، مؤكداً أن "الاسلام ليس عدو الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. لكن الأصوليين الإسلاميين المنخرطين فى النشاط السياسى هم من الذى يهدد المصالح الأمريكية هناك... ولا يشكل الإسلام السياسى تهديداً استراتيجياً للمصالح الأمريكية فى الوقت الحالى". على أن توصياته السياساتية تضمنت مع ذلك بعض أفكار رودمان وكانت أقل إعتدالاً : لا يتعين على الولايات المتحدة أن تشجع الديمقراطية فى دول الشرق الأوسط الصديقة لواشنطن - الضغط من أجل إصلاح ديمقراطى ينبغى أن يوجه إلى سوريا والعراق، وليس الأردن ومصر - الراديكاليون الإسلاميون فى مصر والأردن لابد من قمعهم - المشاركة السياسية ينبغى أن تقتصر على الأحزاب العلمانية وهو مبدأ لن يحلم إنديك أبداً بأن يقترحه بالنسبة لاسرائيل - الإسلاميون المعتدلون ينبغى ضمهم للحياة السياسية(٢٥)".

وفى مقال نشر قبل أشهر قليلة فى مجلة فورين أفيرز (الشئون الخارجية) - حيث ينشر محركو السياسة الخارجية ما يريدوننا أن نعتقد أنه ما يفكرون فيه وما يفعلونه - يرى إنديك أن على الولايات المتحدة أن تكون أكثر حزماً فى تعزيز الديمقراطية فى الشرق الأوسط(٢٦). لكن الإتساق فى الفكر، وكما رأينا الآن، ليس مطلباً أساسياً لكى يتم اعتبارك مشاركاً مهماً فى تشكيل السياسة الخارجية ولكى تحافظ على وصولك إلى وسائل الإعلام.

ما الذى يريده معهد واشنطن؟

بخلاف الحفاظ على الاقتراب من عملية صنع السياسة الخارجية، يسعى معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى إلى أن تظل الولايات المتحدة مشاركة بفاعلية فى مجريات الأحداث فى الشرق الأوسط على مستوى عال. كما يسعى إلى الحفاظ على، وتعزيز، التحالف الاستراتيجى الأمريكى الاسرائيلى. ويسعى معهد واشنطن إلى إظهار اسرائيل فى أفضل صورة ممكنة، حتى عندما يستنكر السياسات الاسرائيلية. ويريد المعهد أن يحجِّم الى الحد الأدنى العلاقة بين الولايات المتحدة والدول العربية إلا إذا أثبتت تلك الدول للعسكرية الاسرائيلية ومجتمع المخابرات أنها ليست طرفاً فى النزاع العربى الاسرائيلى.

ولقد نجح معهد واشنطن حتى اليوم لأنه يشغِّل ماكينة نسج علاقات موظفة جيداً بالموارد المالية الهائلة الموضوعة تحت تصرفه. فهو يواظب على التودد إلى وسائل الإعلام، مرسلاً بالفاكس إلى هيئات تحرير الصحف فى واشنطن الدعوات إلى حفلات غذائه الاسبوعية مع الشخصيات الزائرة من ذوى المكانة الرفيعة والأكاديميين البارزين. وموقع المعهد فى وسط مدينة واشنطن قريب من "الكابيتول هول"، والبنك الدولى، ونادى الصحافة القومية. وينشر معهد واشنطن كمية ضخمة من المادة فى إصدارات لمجموعة متنوعة من التصاميم والأشكال، مُغرقاً مكاتب واشنطن المعنية بشئون الشرق الأوسط بمواده المنشورة.

وتعد الرحلات التى ينظمها معهد واشنطن إلى الشرق الأوسط أحد الأمثلة لأساليبه فى العمل. فالمشاركين يجلبون من مشاريع المعهد المختلفة، ويسافر المدعوون من أعضاء مجتمع السياسة الخارجية والصحفيين معاً.. ولا يتكفل المعهد بدفع نفقات سفر وإقامة الصحفيين، لكنه يزودهم بالمواد المرجعية للرحلة، والأفراد القريبين من عملية صنع السياسة الخارجية والصحفيين من تبادل الأفكار والتجارب. ويكتب الصحفيون تقارير إخبارية بعد عودتهم من الرحلة (٢٧) وتكتب الشخصيات المنتمية لدائرة صنع السياسة الخارجية مقالات فى الصفحات الأولى بالصحف. وقد كان مايكل ماندلباوم، مستشار كلينتون للسياسة الخارجية أحد المشاركين المنتظمين فى رحلات معهد واشنطن مؤخراً. وتمثل هذه النوعية من الرحلات "الصواميل الرابطة" فى بنية الخبرة المحافظة.

إن جمع معهد واشنطن بين مزايا الموارد المالية المتوافرة، والعلاقات الوثيقة مع صناع السياسات، والمعرفة المحدودة للأكاديميين بشئون المنطقة، والتقليل من أهمية العلاقة الاسرائيلية، والعناية البالغة بوسائل الإعلام قد أثبتت فعاليته العالية. على أن المقوم الأهم من مقومات نجاحه هو سياسته المنفذة بعناية والمتمثلة فى تثبيت موقعه فى مركز الاجماع الاستراتيجى للسياسة الخارجية والنخب الإعلامية فى عهدى ريجان وبوش. ومن غير المرجح أن يتمكن مشروع ممول مماثل يدافع عن خفض الأسلحة، وحقوق الانسان، وسلام عربى اسرائيلى عادل من تحقيق التأثير الذى حققه معهد واشنطن فى تلك الدوائر وانجاز نتائج مماثلة. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن المشكلة مع السياسة الخارجية للولايات المتحدة لا تتعلق فقط بصناع السياسات، أو بتأثير منظمات مثل معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى : بل تكمن المشكلة بالأحرى فى تلك المجموعات المترابطة من المصالح، والمؤسسات وأشكال الخطاب السياسى التى تمكِّن توجهات بعينها من أن تبدو معقولة وسائغة وأن تنتشر وتسود، بغض النظر عن ماهية الحقائق، والأدلة والظروف.

هوامش

(1) Building for Peace : An American Strategy for the Middle East (Washington, DC : WINEP, 1988), p. 77.

(٢) التقارير الثلاثة لمجموعة الدراسة الاستراتيجية هى :

Resorting the Balance : US Strategy and the Gulf Crisis (1991)' Afer the storm : Challenges for America's Middle East Policys (1991)' Pursuing Peace : An American Strateg for the Arab Israeli Peace Process (1992).

(٣) أجريت اتصالاً تليفونياً مع جون حنا، مقرر المجموعة البحثية الرئاسية ونائب المدير السابق للبحوث بمعهد واشنطن، لأطلب منه بعض المعلومات البيبلوجرافية وشرحت له أنى أعد مقالاً عن معهد واشنطن والسياسة الخارجية للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، فاجاب بقوله : "لماذا تريد التحدث معى؟ أنا لا أعرف أى شئ عن الشرق الأوسط".

(٤) من بين الديمقراطيين فى المجموعة البحثية الرئاسية كل من: برايان أنوود، مدير المعهد الديمقراطى القومى للشئون الخارجية – آن لوي مستشار الحملة الانتخابية لجيمس جاكسون عام ١٩٨٨ – رونالد ليبر مستشار الشرق الأوسط الحملة دوكاكيس الانتخابية.

(٥) تضمنت المجموعة القيادية الشرفية للمشروع أيضاً أعضاء الحزب الديمقراطى البارزين فقد ضمت : النائب الجمهور ليش أسبن (ولاية ويسكنسن) – السيناتور دانيل إينووى (جزر هاواى) – السيناتور سام نن (جورجيا) – نائب الرئيس السابق والت مونديل.

أنظر أيضاً :

President Walter Mondale, See also J.J. Goldberg, "Cinton' Angry bandwagon," The Jerusalem Report, may 7, 1992, p. 27 and "Clinton's Dream Team, "The Jerusalem Report, Octobe 22, 1992, pp. 12-14.

(٦) تشمل قائمة المساهمين فى تمويل معهد واشنطن : مؤسسة بلنكين – مؤسسة "ليندا آند هارى برادلى" – مؤسسة كوريت – أسرة مايركوف وأسرة سوريف. وحتى وقت قريب، كان ماكس فيشر– الذى قدرت مجلة "فورشيون" ثروته بـ٣٤٠ مليون دولار عام ١٩٩١ – عضواً باللجنة التنفيذية لمعهد واشنطن. وهو أحد كبار جامعى التبرعات المالية للحزب الجمهورى كما يُعد أكبر المساهمين الأفراد للمنظمات اليهودية فى العالم.

وقد ظل فيشر مخلصاً لبوش برغم الاستياء الواسع فى أوساط المجتمع اليهود المنظَّم، وربما كان السبب فى تركه لمعهد واشنطن استياؤه من انعطافه نحو كلينتون. ويملك واينبرج، العضو السابق فى اللجنة المركزية للحزب الديمقراطى بولاية كاليفورنيا، مؤهلات ليبرالية ديمقراطية ممتازة.

(7) Quoted in David B. Ottoway, "Mideast Intitute's Experts and Ideas Ascendant, "Washington Pot, March 2, 1989.

(8) Middle East Policy Survey, October 14, 1983.

(9) Judith Miller and Laurie Mylorie, Sadam Hussein and the Crisis in the Gulf (New York: Time Books, 1990).

(١٠) نوقش أولاً فى صفحات هذه المجلة بقلم المسكين، أنظر:

This was first issued in These pages by Al Miskin, "Mediations," Middle East Report # 168 (Januar - February 1991). See Laurie Mylorie, "The Baghdad Alternative," orbis 32,3 (Smmer 1998), pp. 339-54' Mylorie and Pipes, "Black Iraq," New Republic (April 27, 187).

(11) We Didn't Coddle' Sadam "The Washington Post, October 10, 1992.

(12) Building for Peace, pp. 96-97.

(١٣) كانت ميلروى على نفس القدر من الصفاقة فى أول مقال لها فى مجلة "Commentary" كيف ساعدنا على بقاء صدام، عدد يوليو ١٩٩١، ص ١٥ – ١٨.

(14) "The Time is Right to move Against Saddam," Wall Street Journal, October 10, 1992.

(15) Eic Alterman, "So You Want Be A Pundit: Five Eas Steps to Fame, Fortune and Fatuouness," Lingua France, April/May 1992, p. 21.

(١٦) من أجل رواية مكتوبة لذلك التحول أنظر :

Iraq : The Mystery of American Policy, "Commentary, June" 1991, pp. 15-19.

(17) Daniel Pipes, Damasus Courts the West : Syrian Politics, 1988-1991 (Wahington, Dc: WINEP, 1991) pp. 60, 63.

(18) Michael Eisenstad, Armng for Peace? Syria;s Elusive Quest for "Strategic Parity" Washington, DC: WINEP, 1992", P. ix.

(19) JCSS Study Group, The West Bank and Gaza: Israel;s Opinions for Peace; and Israel, the West Bank and Gaza Toward a Solution (Tel Aviv: The Jaffee Cnter 1989) pp. 20, 22. Other Israelis in the WINEP orbit are : Hirsh Goodman, editor of the Jerusalm Report; Ehud a'ari, Middle East Editor for Israel Television Itamar Rabinovich, Israel's Embassador to the US, head of the Israeli ngotiating team with Syria, former director of Tel Aviv University and former Dirctor of its Dayan Center for Middle Easts Studies; and several lesser lights a the Dayan Center, which has close ties with Israeli's foriegn ministry.

(20) Yediot Aharonot, September 4, 1992.

(21) Pursuing Peace, pp. x, 55.

(22) Ibid, pp. 29, 40, 43.

(23) Gordon C. Oehler, "The Profileration of Weapons of Mass Destruction in the Middle East, "in Yhudah Mirsky and Ellen Rice, eds, Islam and the US: Challenge for Nineties (ANA Westin Hotel, Washington, DC, April 27, 1992) pp. 15 - 23.

(24) Robert Staloff, "Palestinian Islamic Fundamntalism and Peace Process," in ibid, p. 33.

(25) Martin Indyk, "The Implications for US Polic," in ibid, pp. 49 - 51.

(26) Martin Indyk, "Watershed in the Middle East," Foreign Affairs 71, 1 (1991) pp. 71, 79, 87.

(27) See Peter David, "The Road That is no Straigt, "The Economist, January 25, 1992, pp. 40 - 42.

من يملك الأخبار؟

إعداد
سالى إثيلستون
مارتا وينجر(*)

التليفزيون :

شبكة «ايه . بى . سى»

اشترت شركة "كابيتال سيتيز" شبكة "إيه.بى.سى"، بمحطاتها التابعة المائتين والثلاثين. وتملك الشركة أيضاً : ٨ محطات تليفزيون، وتسع صحف يومية، و٧٤ اسبوعية (كانساس سيتى ستار) – شبكات إذاعية تتبعها ٣٠٠٠ محطة؛ و٢١ محطة إذاعة وشركة لبرامج الكيبل – وحوالى ٦٠ إصداراً (وومنز ويز دايلى، كومبيوت!، مودرن فوتوجرافى). والمالك الأكبر للأسهم مستثمر من مدينة "أوماها" هو وارن بوفيت.

شبكة «سى .بى .إس»

اشترى لورانس تيتش، صاحب سلسلة فنادق لويس (وأحد العناصر النشطة فى جمع الأموال لاسرائيل) الحصة الأكبر من أسهمها عام ١٩٨٦. ومن أعضاء مجلس ادارتها هنرى كيسنجر. وتملك الشركة أيضاً : ٧ محطات تليفزيون، ٢١ محطة إذاعة، شبكتين إذاعيتين.

شبكة «إن .بى .سى»

اشترت شركة جنرال الكتريك – خامس أكبر شركة صناعية فى الولايات المتحدة وأحد كبار المقاولين المتعاملن مع البنتاجون – شركة "آر.سى.إيه" الشركة الأم لشبكة "إن.بى.سى" مقابل ٤ ,٦ بليون دولار عام ١٩٨٦. وتملك أيضاً ست محطات تليفزيون.

شبكة «سى .إن .إن»

يملكها تد تيرنر ومجموعة تيرنر للبث الإذاعى والتليفزيونى. ويصل إرسال «سى.إن.إن»، الذى يبث الأخبار على مدى الأربع والعشرين ساعة إلى ٥٨ ,٩ مليون منزل على إتساع العالم. وتملك الشركة أيضاً : "تى.إن.تى."، وهو برنامج ترفيهى من خلال الكيبل.

شبكة «بى .بى .إس .»

تتلقى هذه الشبكة، التى تأسست عام ١٩٦٧ كتليفزيون غير تجارى يموله دافعو الضرائب، فى الوقت الحالى دعماً مالياً أيضاً من المؤسسات والمشاهدين، كما تتلقى "وعوداً" متزايدة بالدعم المالى من العديد من الشركات الكبرى. ويدير أعمال الشبكة مجلس إدارة "المؤسسة العامة للبث الإذاعى والتليفزيونى" (ومن بين أعضائه المعينين من قبل بوش كل من دافيد بروسبيرى، السكرتير الصحفى لحملة دان كويل الانتخابية عام ١٩٨٨، وفيكتور جولد، الكاتب الأسبق لخطابات بوش والمؤلف المشارك لسيرة بوش الذاتية).

(*) سالى إثيلستون : عضو فى لجنة تحرير Middle East Report، ومدير العلاقات الإعلامية لحركة السكان الدولية.

(*) مارتا وينجر : مساعد رئيس تحرير Middle East Report سابقاً، وتعمل الآن بشكل مستقل.

الصحف

أطلنطا جورنال

تملكها شركة "كوكس انتربرايز". وتملك أيضاً : ١٧ صحيفة أخرى، ١٢ محطة إذاعة، ٧ محطات تليفزيون، شركة إتصالات بالكيبل هى خامس أكبر شركة للكيبل فى العالم.

بوستون هيرالد

تملكها شركة روبرت ميردوخ، "نيوز كوربريشن ليمتد"، والتى تسيطر على عمليات توزيع أغلب الصحف فى العالم (فى استراليا، هونج كونج، بريطانيا، نيوزلنده، الولايات المتحدة)، وهى أيضاً ثانى أكبر ناشر مجلات فى الولايات المتحدة (TV Guides, eventeen, New York). وتملك أيضاً سبع محطات تليفزيون - شركة فوكس للقرن العشرين - شركة فوكس للبث الإذاعى والتليفزيونى - أكبر منظومة إرسال تليفزيونى بالأقمار الصناعية فى أوروبا.

شيكاغو تريبيون

تملكها شركة "تريبيون كمبانى". وتملك أيضاً سبع صحف أخرى، تحتل المرتبة الرابعة فى معدل التوزيع على المستوى القومى - ٦ محطات تليفزيون - ٤ محطات إذاعة - شركة للإنتاج التليفزيونى.

دينفر روكى ماونتين نيوز

تملكها شركة «إى.دبليو.سكريبز». وتملك أيضاً : ١٨ صحيفة يومية أخرى تحتل المرتبة التاسعة فى التوزيع على المستوى القومى - وتسيطر أيضاً على : إحدى الشركات العشرين الأكبر فى الولايات المتحدة للكيبل - شركة سكريبز/ هوار للبث الإذاعى والتليفزيونى.

لوس أنجيلوس تايمز

تملكها شركة "تايمز ميرور" التى تسيطر على أسهمها أسرة أوتيس شاندلر. وتملك الشركة أيضاً : صحف "نيويورك نيوز داى"، و"هارتفورد كورانت" و"التيمور صن"، والتى تحتل المرتبة الخامسة فى التوزيع على المستوى القومى - أربع شركات للكتب - مجلات - تاسع أكبر شركة للكيبل - ٤ محطات تليفزيون.

ميامى هيرالد

تملكها شركة "نايت - ريدر". وتملك أيضاً ٢٨ صحيفة يومية أخرى (فلادلفيا إنكوايرر - ديترويت فري برس) تحتل المرتبة الثانية فى التوزيع على المستوى القومى - مكاتب للخدمات المعلوماتية وخدمات الأخبار الاقتصادية - خدمات الاسترجاع الالكترونى - خدمات الرسم البيانى والتصوير - شركات لتليفزيون الكيبل وصناعة ورق الصحف.

نيويورك تايمز

تملكها شركة "نيويورك تايمز"، وتهيمن على أسهمها أسرة أوشز - سلزبرجر. وتملك الشركة أيضاً : ٣١ صحيفة أخرى - نصف أسهم "انترناشيونال هيرالد تريبيون" - شركة نيويورك تايمز للخدمات الإخبارية (٦٠٠ منفذ فى أنحاء مختلفة من العالم) - ٥ محطات تليفزيون - محطتى إذاعة - مجلات تعنى بالشئون الاستهلاكية.

سان فرانسسكو إكزامينر

تملكها شركة "هيرست"، التى تملك أيضاً : ١٢ صحيفة أخرى - ٦ محطات تليفزيون - ٧ محطات إذاعة - مجموعة كينج فيتشرز - "دار آفون بوكس" - دار أربور هاوس للنشر - شركة وليام مورو وشركاه - ١٣ مجلة تعنى بشئون الاستهلاك، تحتل المرتبة الثالثة فى عائدات البيع (كوزمو بولتيان - إسكوايرر - بوبولار ميكانيكس).

يو . إس . توادى

تملكها شركة "جانيت"، أكبر سلسلة مؤسسات صحفية فى الولايات المتحدة والتى تتبعها ٨٢ صحيفة يومية فى ٣٤ ولاية. وتحتل هذه الصحيفة المركز الثانى من حيث كمية التوزيع فى الولايات. وتملك الشركة أيضاً : ١٦ محطة إذاعة - ١٠ محطات تليفزيون - مكتب خدمات صحفية - وكالة "هاري وشركاه" لاستطلاعات الرأى - مؤسسة "فريدم".

وول ستريت جورنال

الصحيفة لأوسع انتشاراً فى الولايات المتحدة، وتملكها «داو جونز»، التى تملك أيضاً : ٢٣ صحيفة يومية أخرى - طبعات آسيوية وأوروبية من صحيفة "وول ستريت جورنال" - "فار إستيرن إكونوميك ريفيو" - "بارونز" - "داو جونز نيوز" استرجاع (قاعدة بيانات) - مكتب خدمات معلوماتية للأفراد.

واشنطن بوست

تملك القسم الأكبر من أسهمها أسرة جراهام، والتى تملك أيضاً : "نيوزويك" - نصف أسهم "انترناشيونال هيرالد تريبيون" - ١٢ صحيفة محلية - نصف أسهم شركة "إل. إيه. تايمز- واشنطن بوست" للخدمات الإخبارية (٦٠٠ منفذ - ٢٣ بلداً) - محطة التليفزيون الكيبلى "بوست - نيوزويك" - ٤ محطات تليفزيون - مكتب "ليجى-سليت" (قاعدة بيانات كومبيوترية لشئون الحكومة الأمريكية).

المجلات الاسبوعية

تايم

أوسع المجلات انتشاراً (٤,٦ مليون نسخة). تملكها شركة "تايم وارنر"، ثانى أكبر شركة اعلام فى العالم، تأسس عام ١٩٨٩، من خلال إندماج شركتى "تايم" و"وارنر كوميونوكيشنز". وتملك هذه الشركة أيضاً : شركة "سكوت" "فورسمان" - "ليتل، "براون" - شركات أخرى لنشر الكتب - مجلات (بيبول - لايف - سبورتس - إليستراتيد - فورشن - مانى آند إنترتينمنت ويكلى) - "إيه.تى.سى" (ثانى أكبر شركة كيبل) - "هوم بوكس أوفيس" و"سينماكس".

نيو زويك

(أنظر : "الواشنطن بوست").

المصادر :

Ben H. Bagdikian, The Media Monopoly (Boston, 1990): Left Business Observer, January 17, 1989 (New York Times Co.), April 6, 1989 (GE/NBC), June 13, 1989 (Capital Cities? ABC), August 15, 1989 (CBS), December 13 1989 (Washington Post Co.), April 20, 1990 (Dow Jones), October 26, 1990 (Times Miror)' The Broadcasting Yearbook 1990; Editor & Publisher International Yearbook 1992, Standard & Poors Standard Corporation Descriptions, October 1992; Martin A. Lee and Norman Solomon, Unreliable Sources (New York, 1990). On PBS see Extra! September 1992.

هذه المجلة

"تتضمن هذه الدورية الفصلية مقالات لكتاب نادراً ما تنشر فى الغرب، ومقابلات مع أصوات صاعدة من المنطقة. وتغطى المجلة القضايا الأكثر الحاحاً وخلافية، كالنفوذ المتنامى للحركات الإسلامية، وحرب الخليج وما أعقبها، والصراع الفلسطينى الإسرائيلى، وغير ذلك كثير. وتشكل تقاريرنا مصدراً أساسياً للمتخصصين لكنها متاحة أيضاً للجمهور العام".

چودى بارسلو

المديرة التنفيذية والمحررة

المسئولة لميريب

"تعد القضية والآلية الإعلامية من أبرز مساهمات مجلة (ميريب) على الإطلاق. فالنقد التقدمى للإعلام الأمريكى وما يمارسه من تضليل وهيمنة ثقافية وسياسية ودعائية هو واحد من المنطلقات الأساسية لميريب. فقد حاولت المجلة أن تقدم إعلاماً متخصصاً وعادلاً حول القضايا العربية، كما حاولت تعليم القارئ الغربى أسلوباً جديداً فى قراءة الواقع العربى والحياة السياسية والاجتماعية لبلاد الشرق الأوسط، على خلاف السطحية والإبتذال والتحيز الذى ميز الإعلام الغربى، والأمريكى بالذات، فيما يتصل بهذه المنطقة"

د. محمد السيد سعيد

مستشار البحوث

بمركز القاهرة لدراسات

حقوق الإنسان